

مفهوم الأخلاق التطبيقية

الباحثة/ بنين حامد جبار

تاريخ الإرسال: 2022/12/15 تاريخ النشر: 2023/01/15

ملخص

الفلسفة وليدة عصرها، والتعبير الحي عن الواقع المعاش، وكلما كان الفيلسوف معبرا عن مشكلات عصره كلما زادت فلسفته قوة وقيمة، ولا يمكن فهم فلسفة أي فيلسوف فهماً عميقاً صحيحاً إلا بالإلمام بعصره ومشكلاته، بل وبظروفه الشخصية، وقد اتسع تعبير الأخلاق التطبيقية مؤخراً ليشمل العديد من المشكلات التي لم يكن يبحثها أحد من قبل. ولا نعرف من الذي استعمل أولاً تعبير الأخلاق التطبيقية، لكن ينظر إلى بيتر سنجر كأحد الفلاسفة الأوائل الذين استعملوا مصطلح الأخلاق التطبيقية للتعبير عن الأخلاق العملية.

إن تصوير الأخلاق في المهن على أنها الانصياع للقواعد يمكن أن يؤدي إلى نتائج غير مرغوب فيها، فالناس بطبعهم يميلون إلى إيجاد طرق للالتفاف حول القواعد والقوانين، ويستطيعون الفكاك منها، على الرغم أنهم يبدون وكأنهم يؤيدونها بحرفية. وتظل الأخلاق موضوعاً للتقيد بالمعنى الحرفي للقاعدة أو القانون، بدلاً من إصدار أحكام بشأن أفضل الطرق للعمل في جو حيوي من القيم الأخلاقية، فإذا ما حدث هذا، وإذا ما ظهرت حالات غير متوافقة تماماً مع القواعد.

الكلمات المفتاحية

الأخلاق التطبيقية_ المهنية_ الاستقلال الذاتي_ الدور الأخلاقي

Summary

Philosophy is born of its times, and living expression of living reality, and the more the philosopher expresses the problems of its times the more powerful and valuable his philosophy, the more the philosophy of any philosopher can be understood in depth only by knowing his age and problems, even his personal circumstances, and the expression of applied ethics has recently expanded to include many problems that no one has been looking at before. We do not know who first used the term applied ethics, but Peter Singer is seen as one of the first philosophers to use the term applied ethics to express practical .ethics

Portraying ethics in occupations as observance of norms can lead to undesirable outcomes. People, of course, tend to find ways around rules and laws, and they can dismantle them, even though they seem to support them literally. Morality remains the subject of adherence in the strict sense of the rule or the law, rather than judgement on how best to operate in a vital atmosphere of moral values, if this happens, and if cases arise that .are not fully compatible with the rules

مقدمة:

يمكن اعتبار علم الأخلاق أو الفلسفة الخلقية عادة من العلوم المعيارية أي لا تقصر على دراسة ما هو كائن أو الأوضاع الراهنة ولكن بما ينبغي أن تكون عليه، ولذا فإن مهمته هي وضع الشروط التي يجب توافرها في الإرادة الإنسانية وفي الأفعال الإنسانية لكي تصبح موضوعا لأحكامنا الأخلاقية عليها⁽¹⁾.

علم الأخلاق Ethics هو العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر السلوكية التي توجد في المجتمع، وهي العادات الأخلاقية Morality، وهي تمثل اعتقاد الناس بالخطأ والصواب لذلك فعلم الأخلاق يهتم ويختص بإطلاق الأحكام القيمية على السلوك الإنساني، ولا يكتفي بوصف هذا السلوك...ولذلك فهو يعد علما معياريا⁽²⁾.

الأخلاق النظرية والأخلاق العملية:

إن كثير من الفلاسفة حين يتحدثون عن الأخلاق فإنهم يعنون بها مجرد الدراسة النظرية الصرفة مادام الغرض الذي يهدف إليه هو فهم طبيعة الحياة الأخلاقية، كما لو كان علم الأخلاق يمثل صورة من صور البحث الحقيقية ويدفع إليه دافع عقلي هو الرغبة في المعرفة فهو يهدف إلى التعرف على الصواب والخطأ في السلوك الإنساني، ومعني ذلك أن الأخلاق علم نظري بحث فهو حيث يبحث ما يبحثه فإنه لا يكون بصدد تطبيق أو عمل بل بصدد بحث نظري، فلا شأن للأخلاق بالسلوك الذي يقوم به الشخص، فالسلوك شيء و علم الأخلاق شيء آخر فكذلك فإن المرء يمكنه أن يحيا حياة خيره دون أن يدرس علم الأخلاق⁽³⁾.

⁽¹⁾ليون جونتية: مدخل لدراسة الفلسفة، تر: محمد يوسف موسى، دار الكتب الأهلية، القاهرة، 1945، ص89.

⁽²⁾جون هوسبرس: السلوك الإنساني، مقدمة في مشكلات الأخلاق، تر: على عبد المعطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص41-42.

⁽³⁾محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص42.

تشمل الأخلاق بحوث في المعني النوعي لكلمة "خير" بالإضافة إلى تنوعاتها الرئيسية مثل الخير الجمالي والخير الوظيفي، وعادة ما نفترض أن الأخلاقيات لها اهتمام خاص بتلك القيم التي لها علي السلوك الإنساني وتغطي هدفا للمجهود الإنساني⁽¹⁾.

وبصفة عامة تعتبر الأخلاق بمثابة معايير السلوك تطبق علي هؤلاء الذين يشغلون مهنة معينة، فالشخص الذي يدخل مهنة ما يطلب منه الالتزام بأخلاقيات المهنة، لأن المجتمع يجعله موضع ثقة في أن يقدم بضائع وخدمات ذات قيمة، ولا يمكن أن تتوافر ما لم يكن سلوكه مغلفا بمعايير، لذا، فإن المهنيين الذين يفشلون في أن يدينوا بالتزاماتهم الأخلاقية ينتهكون هذه الثقة، والواقع أن المعايير المهنية المدروسة جيدا بواسطة فلاسفة الأخلاق تتضمن أخلاقيات طبية وأخلاقيات قانونية وأخلاقيات لوسائل الإعلام وأخلاقيات للهندسة، وهي دراسة المعضلات الأخلاقية، والخيارات والمعايير في وظائف ومهن ومواقف عينية وكيفية تطبيق النظريات والمفاهيم القيمية في سياقات معينة⁽²⁾.

وفي السنوات القليلة الماضية، كثر الحديث عن أخلاقيات استخدام المعرفة فقد بدأت بعض الجامعات والمعاهد العلمية بتدريس الأخلاقيات كجزء من كل تخصص، ومن ثم، فإن واقع علوم الحاسوب في عصرنا هذا يفرض علي المتخصصين والتربويين سرعة طرح قضايا أخلاقيات استخدام الحاسوب، بل ومن المحتم علينا الآن أن نربط الحوسبة بالأخلاقيات ونطرحها بقوة في كل الميادين التعليمية والتدريبية، ويفرض الواقع الملموس علينا أن نقوم بتعليم أخلاقيات العمل والمهنة عموما⁽³⁾.

⁽¹⁾Frederick, K. Olafson: Ethics and twenty century through, Prentice hall, new Jersey, 1973, P. 7.

⁽²⁾ديفيد ب. رزينك: أخلاقيات العلم، ترجمة عبد النور عبد المنعم، علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005، ص36.

⁽³⁾نبيل مصطفى صالح: ص342-343.

إن مذاهب الأخلاق النظرية المطبقة في شتي الحقول الاجتماعية والعملية، وهي حاضرة في كل مكان، ومطلوبة داخل المشروع وفي اللجان الطبية علي قدر سواء، إنها لا تحظى بسمعة طيبة عند المفكرين، وعلي الرغم من ذلك فإن فكرة الانطلاق من مبادئ، والهبوط من جديد إلى مختلف الدوائر، العلوم البيولوجية، الإعلام الجماهيري، عالم التجارة، الخ، هذه الفكرة تبدو بصورة قبلية مشروعة تماما، فكل ممارسة تستلزم اللجوء إلى معايير أو مبادئ تستهدف إنارة العمل، وإن العودة إلى "الكهف"، في عالمنا الاختباري، على نحو يتيح توجيه أحوال السلوك، لا تبدو هنا مسعى مجانيا⁽¹⁾.

وبادئ ذي بدء، هل الأمر حقا أمر أخلاق نظرية صحيحة، أي فكرية لقيم، أمر استئناف بحوث نظرية تتعلق بممارسات السلوك وبمعايير، وبكلمة وجيزة، أمر ما وراء الأخلاق؟ ألا نجدنا في أغلب الأحيان حيال بدائل عن الأخلاق النظرية، وليس البتة أمام استئناف يوجبه التفكير؟ ألا ينبغي إبراز الإبهام الذي يحيق بـ"الأخلاق النظرية المطبقة على الممارسات الراهنة؟"⁽²⁾

وعرف البعض الأخلاق المهنية بأنها "الصفات (الخصائص) التي يريد أصحاب الأعمال أن تتوافر دائما في سلوك مستخدميهم، لكن عادة يقولون إنه من الصعب وجودها"⁽³⁾.

ركائز عالمية الأخلاق :

هل أخلاقيات علوم الحياة عالمية؟ هل من الممكن أن تطبق الأخلاقيات الجديدة العلوم الحياة على جميع المفاهيم وعلي جميع الكائنات الحية في كل الدول، على مساحة الكرة الأرضية؟ كيف يمكن تأسيسها؟ للإجابة عن هذه الأسئلة

⁽¹⁾ جاكلين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر، بيروت، لبنان، 2001، ص 108.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 108-109.

⁽³⁾ Roger B., Hill., Gregory C. Petty, A New Look at Selected Employability Skills: A Factor Analysis of the Occupational Work Ethic, the Journal of Vocational Education Research (JVER), Volume 20, Number 4, 1995, in <http://www.coe.uga.edu/zrhil/workethic/jverart.htm>

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار عناصر عدة، يجب قبل كل شيء، أن نعترف بواقع أننا نعيش في عالم التنوع، تنوع في الأعراق، تنوع في التنمية، تنوع في البيئة، في الديانات، في الأفكار.. الخ، وعلينا أن نأخذ هذا الواقع بعين الاعتبار إذا أردنا أن نؤسس أخلاقيات جديدة لعلوم الحياة، صحيح أن للأخلاقيات صلة وثيقة بالعادات والتقاليد، بالدين، أو بالقيم الاجتماعية في مجتمع معين .

فغالباً ما يقال إن الأخلاقيات أخلاقيات خاصة بجماعة إنسانية معينة، المسألة المطروحة هي معرفة ما إذا كان للعالم، علي عكس ذلك، أخلاقيات واحدة وبالتالي أخلاقيات واحدة لعلوم الحياة⁽¹⁾.

لكن بما أن التنوع في هذا العالم لا يعني أبداً التجزئة، فالعالم نفسه واحد في التنوع وليس مجزأ، يجب الاعتراف إذن بخاصية أخرى للجماعة الإنسانية، وهي ترابط المصير، لا أحد يستطيع أن يعيش وحيداً، كما أنه لم يعد بمستطاع أية دولة أن تعيش في حالة اكتفاء ذاتي، فإذا ما استندنا إلي هاتين الحقيقتين يمكن أن يكون لدينا أمل في بناء أخلاقيات علوم الحياة لعالم القرن الحادي والعشرين، حتى ولو لم تكن مقومات الكرامة الإنسانية محددة بشكل واضح، علينا الاعتراف بها كمبدأ أساسي في أخلاقيات علوم الحياة، أيا تكن الجنسية أو العرق أو الدين لا أحد ينفي أن كرامة الإنسان قيمة أساسية، لكل إنسان كرامته الخاصة، إن الاختلاف بين مبادئ أخلاقيات علوم الحياة من مجتمع لآخر هي وليدة اختلاف مفاهيم الكرامة وممارساتها بين هذه المجتمعات، في المجتمعات الغربية، للفردية قيمة أساسية، بينما تأتي الجماعة في المرتبة الأولى، في البلدان الآسيوية، لكن الجماعة الآسيوية لا تتناقض مع الفردية الغربية، كل فرد يعيش ضمن جماعة إنسانية، ولا يمكنه أن يحظى بالاحترام إذا كان المجتمع الذي ينتمي إليه لا يستطيع

⁽¹⁾ رويثي إيدا : أخلاقيات علوم الحياة ومستقبل الكائن الحي، الثقافة العالمية، العدد ٩١، الكويت، 2006، ص272.

أن يضمن الحفاظ علي الكرامة الإنسانية، الأمر يتعلق بأساليب ممارسة الكرامة الإنسانية أكثر مما يتعلق بأفضلية هذه القيم على تلك⁽¹⁾.

علينا كذلك أن نأخذ بعين الاعتبار حقوق الإنسان وهي التعبير القانوني عن الكرامة الإنسانية، تنص المادة الأولى للإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948 على أن "كل الناس يولدون أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق"، هكذا يمكن أن يؤمن مفهوم حقوق الإنسان صلة الوصل بين أخلاقيات علوم الحياة والقانون، إن الإعلان العالمي حول الجينوم البشري وحقوق الإنسان، الذي تبناه المؤتمر العام للأونيسكو سنة 1997 وأقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة، هو إعلان يقع في مجال أخلاقيات علوم الحياة، لكنه يشكل في الوقت نفسه أحد الأدوات العالمية لحقوق الإنسان، لقد أقرت كرامة الكائن الحي كحق يجب صيانته كما تصان حقوق الإنسان، بما أن صيانة حقوق الإنسان معترف بها كاقترح عالمي فهذا يعني أن احترام الكرامة الإنسانية معترف به كذلك قيمة عالمية.

على هذه الركائز الثلاث: التنوع، المصير المشترك، وحقوق الإنسان، تقوم الأخلاقيات العالمية لعلوم الحياة، لكن هذه الأخلاقيات العالمية لعلوم الحياة هي مجرد إطار عام لأخلاقيات علوم الحياة الخاصة بكل مجتمع، لهذا السبب يؤكد الإعلان العالمي حول الجينوم البشري علي أهمية الدور المناط باللجان الوطنية لأخلاقيات علوم الحياة، وهي لجان مستقلة، متعددة الاختصاصات وتعددية، تطال أخلاقيات علوم الحياة كافة المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، إن دور اللجنة العالمية الأخلاقيات علوم الحياة في الأونيسكو، مهم، وهو يهدف إلى تنسيق جهود الأوساط الوطنية والإقليمية والدولية من أجل تأسيس أخلاقيات مشتركة لعلوم الحياة في القرن الحادي والعشرين⁽²⁾.

(1) المرجع نفسه، ص 173.

(2) المرجع نفسه، ص 174.

تعريف الأخلاق التطبيقية:

الفلسفة وليدة عصرها، والتعبير الحي عن الواقع المعاش، وكلما كان الفيلسوف معبرا عن مشكلات عصره كلما زادت فلسفته قوة وقيمة، ولا يمكن فهم فلسفة أي فيلسوف فهماً عميقاً صحيحاً إلا بالإلمام بعصره ومشكلاته، بل وبظروفه الشخصية، ففي الوقت الذي اهتمت فيه الفلسفة في العصر اليوناني بالبحث في الميتافيزيقا، وفي العصر الوسيط بالإلهيات، وفي العصر الحديث بالمعرفة، فإن النصف الثاني من القرن العشرين شهد الاهتمام الكبير بفلسفة العلم وفلسفة الأخلاق، ولم تعد دراسة الأخلاق دراسة نظرية تهتم بتحليل المصطلحات الأخلاقية، وإنما وجهت اهتمامها صوب المشكلات الحياتية، ومن هنا كان الاهتمام بالفلسفة التطبيقية، وكان اهتمام فلاسفة الأخلاق بالفلسفة التطبيقية، وهو ما مثل في رأي البعض عودة إلى الفلسفة فالحديث الدائر اليوم عن عودة الفلسفة في الغرب- الذي بدأ في العشرين عاماً الأخيرة - يربط دائماً هذه العودة بمجال فلسفة الأخلاق" خاصة الأخلاق التطبيقية التي تزايد الاهتمام بها بشكل كبير في أمريكا الشمالية⁽¹⁾.

وقد اتسع تعبير الأخلاق التطبيقية مؤخراً ليشمل العديد من المشكلات التي لم يكن يبحثها أحد من قبل. ولا نعرف من الذي استعمل أولاً تعبير الأخلاق التطبيقية، لكن ينظر إلى بيتر سنجر كأحد الفلاسفة الأوائل الذين استعملوا مصطلح الأخلاق التطبيقية للتعبير عن الأخلاق العملية. وقد قصد أن يعبر من بذلك عن التطوير الأكثر تمييزاً في السنوات العشرين الماضية. لكنه ليس جديداً، ففي رأيه أن الأخلاق التطبيقية لها تقليد طويل من أفلاطون إلى الفلاسفة المتأخرين، واعتقد سنجر أن التطورات الكبيرة التي شهدتها فترة الستينيات من القرن العشرين كانت هي الدافع الأكبر وراء ظهور مصطلح الأخلاق التطبيقية.

⁽¹⁾ مجدى عبد الحافظ: الأخلاق بين القيم والممارسة التطبيقية ملاحظة أولية، الفلسفة التطبيقية، إشراف مصطفى النشار، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2004، ص 371.

عندما بدأت أولا حركة الحقوق المدنية الأمريكية، وبعد ذلك حرب فيتنام وازدياد النشاط الطلابي؛ حيث انشغل الفلاسفة في مناقشة القضايا الأخلاقية مثل، "المساواة، العدالة، الحرب، والعصيان المدني، الأمر الذي أثار تساؤلاً ملحا حول مدى مساهمة الفلاسفة بفاعلية لحل مثل هذه القضايا⁽¹⁾.

الأخلاق التطبيقية

ثمة تغيرات عديدة طرأت على الأخلاق على مدار المائة عام الماضية، ففي بداية القرن العشرين كانت الأخلاق عملا ساميا، فقد ركزت على الأسئلة المتعلقة بمعنى المصطلحات الأخلاقية مثل "جيد"، "ينبغي"، كما ركزت على المحتوى المعرفي وصدق القضايا الأخلاقية المحتوية على هذه المصطلحات، وبعد ذلك، قام فلاسفة اللغة باستكمال ذلك العمل الأخلاقي السامي بطرق مختلفة، وفي الستينيات تغير المناخ الفلسفي فقد شهدت الأخلاق "تحول تطبيقي"، وبدأ الفلاسفة الأخلاقيون بالنظر إلى المشكلات والممارسات الموجودة في المهن، في أمور السياسة العامة والنزاع أو الرأي العام⁽²⁾.

وتعرف الأخلاق التطبيقية أيضا بأنها تستهدف استخدام النظريات والمبادئ الأخلاقية لحل المشكلات الأخلاقية التي تواجه الإنسان، ففي الوقت الذي يلجأ فيه المنهج الأخلاقي إلى الصرامة أولا يسمح بالخداع تلجأ الأخلاق التطبيقية إلى استخدام نظرية المنفعة، والتي تأخذ في الاعتبار نتائج الأفعال، وبالتالي قد يسمح بالخداع في شروط معينة وفي ظروف محددة تراعى فيها العواقب كما تعرف الأخلاق التطبيقية بأنها علم يتخذ قواعد ومبادئ عديدة ويدمجها مع بعضها البعض مع معرفة تفصيلية للوقائع والأعراف ذات الصلة بمجال معين في الحياة مثل السياسة وعلاقات الأجناس الخ⁽³⁾.

(1) محمد كمال: الأخلاق المهنية، دار الكتاب العربي، الاسكندرية، 2005، ص 9.

(2) Jeroen Van Den Hoven: Moral Methodology and Information Technology, P. 51.

(3) Veatch, R. M., "Medical ethics", edited by Robert M. Vetch, Tones and Bartlett publishers Sudbury, second edition, Massachusett, 1998, P 5.

بعد أن تناولنا مفهوم الأخلاق التطبيقية والمهنية، وأوضحنا بأنهما كانا نتاج حركة التطور العلمي والتكنولوجي الذي أدى إلى المساس بمنظومة القيم مما استدعى ضرورة البحث عن أسلوب يتم من خلاله الحد من التأثيرات التي أوجدتها هذه التطورات، حيث تم استحداث فرع من فروع الأخلاق، وهو الأخلاق التطبيقية، وقد عرضنا للفرق بينه وبين أنواع الأخلاق، وانتهينا إلى أنه يشترط في المسائل التي يتم دراستها باستخدام الأخلاق التطبيقية أن تكون ذات طبيعة جدلية، كما أوضحنا من خلال عرضنا السابق التطور التاريخي للأخلاق التطبيقية والمهنية، ونعرض في هذا المبحث الحاجة إلى الأخلاق في مجال المهن والأعمال، بمعنى هل المهن والأعمال في حاجة إلى الأخلاق؟ وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول بأن الأخلاق العمل أهمية كبيرة في حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية، وقد ظهرت الحاجة إلى أخلاقيات العمل منذ القدم، فقد أشار إليها أرسطو سابقا في معرض حديثه عنها وعن سماتها، وقد وصف أرسطو بعض المهن بالنبيلة، في حين احتقر مهنها أخرى، فامتدح الصيد والزراعة وتربية الحيوانات، واحتقر التجارة معتبرا أنها تمثل عملا يقوم على اكتناز المال، ولم يكن أرسطو متسامحا مع التجار، فوجه إليهم النقد العنيف معتبرا أنهم من جنس غريب ومنحط⁽¹⁾.

ظهر اتجاه مناهض للأخلاق التطبيقية "فكثير من النقاد سواء المتعاطفين أو المعارضين لهذا المجال، وسواء من داخل الفلسفة أو من خارجها، يتذمرون من أن الأخلاق التطبيقية لا تساعد في حل المشكلات اليومية، إذ يدعى بعض النقاد أن النظرية الأخلاقية لا يمكن تطبيقها، وأن الاهتمام بحل المشكلات العملية إنما ينبغي أن يتم بدون نظرية أخلاقية"⁽²⁾ وهو ما نختلف معه حيث نرى أن الفلسفة

⁽¹⁾ أرسطو: السياسة، ص 368-369.

⁽²⁾ حسين على: العلم والقيم الأخلاقية رؤية معاصرة، الفلسفة التطبيقية، مصطفى النشار، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2000، ص 353.

ليست منعزلة عن الواقع، فهي تبدأ من دراسة مشكلات الواقع لتضع لها الحلول مستندة على النظريات الفلسفية المختلفة.

ولم يكن الاتجاه إلى القضايا الأخلاقية العملية سهلاً لذا لجأ الفلاسفة في كثير من الأحيان للبحث في المسائل الأساسية من الميتافيزيقا، نظرية المعرفة، ونظريات الطبيعة البشرية؛ بالإضافة إلى ذلك كان عليهم التعاون مع العلماء في المجالات الأخرى.

وقد سلك الفلاسفة نهجين مختلفين في مجال الأخلاقيات التطبيقية "الأول هو تطبيق المبادئ الأخلاقية مثل النفعية والوجوبية أو العقد الاجتماعي على كل قضية أو مسألة"⁽¹⁾ سواء كانت هذه المشكلة "تجارية أو قانونية أو سياسية أو صيدلية أو طبية أو مهنية معينة.

والصعوبة الرئيسية في الأخلاق التطبيقية هي أن العديد من الأشخاص يستطيعون الاختلاف مع النظرية الأخلاقية البادئة المختارة فعلى سبيل المثال من المعروف أن كلا من المسيحية والإسلام لهما نسق مغاير يختلف عن الحلول النفعية المادية في أغلب الأحيان"، مما يؤدي لاختلاف النتائج التي نتوصل لها حول مدى أخلاقية الفعل باختلاف النظرية المرجعية ان تقودنا في هذا التحديد. لذلك فإن "الصعوبة الرئيسية التي تواجه الأخلاق التطبيقية هو ما انا كانت نظرية ما أو مبدأ معين من المبادئ الأخلاقية يمكن تطبيقه بشكل سليم ويضع حلاً للمشكلات المطروحة ويكون مقبولا من الجميع. فالوجوبية على سبيل المثال لن تسمح لنا إطلاقاً بخداع المريض حول حالته الصحية، في حين أن النفعية سوف تدفعنا للنظر في عواقب ذلك ويمكن أن تسمح لنا بهذا الخداع. والثاني "هو توليد الوضع القائم على الخطاب الذي يستخدم نظريات أخلاقية متعددة"⁽²⁾.

⁽¹⁾ محمد كمال، ص 10.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 10.

توجد الأخلاقيات المهنية في قلب التساؤلات التي تطرحها بنية المجتمعات الصناعية، ويلزم التذكير هنا أن هذه المجتمعات لها مجموعة من الخصائص التي تشرط التساؤلات الأخلاقية، فهذه المجتمعات تستند تاريخيا على ثلاثة قوي معيارية متداخلة ومتعارضة : أولاها : الاقتصاد الذي يفرز مجموعة من القيم الخاصة به كالفعالية والإنتاجية والتنافسية، إضافة إلى معقولية اقتصادية يتم وفقها تقوم كل شيء بناء على مفاهيم الكلفة والربح، والعرض والطلب، والإنتاج والاستهلاك، وثانها: التقدم العلمي التكنولوجي الذي يعتمد معقولية من نوع آخر تقوم على أساس إجرائي اختباري و عملياتي، تمد الاقتصاد بالطرق والوسائل الضرورية، وثالثها: الحق والقانون الذي يحدد المعايير والممنوعات من خلال ضبط وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية⁽¹⁾.

تعريف الأخلاق المهنية :

يظهر لنا مدي الارتباط بين الأخلاق التطبيقية والأخلاق المهنية، حيث إن الأخلاق التطبيقية، كما اتضح من خلال تعريفاتها، أنها تطبيق لمجموعة من النظريات الأخلاقية على قضايا جدلية مرتبطة بمهن معينة، كما تبدو العلاقة بينهما واضحة من خلال الانحياز القائم على اعتبار الأخلاق أن الأخلاق التطبيقية والأخ المهنية مترادفان⁽²⁾.

يمكن فهم تسمية «الأخلاق المهنية» على أنها مصطلح عام يجمع تحت مظلة واحدة بين الأخلاقيات المهنية للطب والقانون والصحافة والأعمال وما إلى ذلك. بدلا من ذلك، قد يشير إلى المذاهب والمفاهيم المشتركة بين جميع الحقول الفرعية الخاصة بالموضوعات.

⁽¹⁾ عمر بوفنتاس : الأخلاق التطبيقية ومسألة القيم، ضمن كتاب سؤال الأخلاق والقيم، تحرير عبد السلام طويل، الدار البيضاء، المغرب، 2011، ص 127.

⁽²⁾ Beauchamp, T.L., The Nature of Applied Ethics, A Companion to Applied Ethics ed., R.G., Frey and Christopher Health Wellman Block Well Pul, London, 2003, P. 1.

ثلاثة وجوه الأخلاقيات المهنية

في أي من الاستخدامين، تصل الأخلاقيات المهنية حقا إلى ثلاثة مواضيع مختلفة تماما. كما هو مفهوم بشكل عام من قبل الممارسين «في خنادق» المهن، يجب أن تتعلق الأخلاق المهنية بالكامل تقريبا بالجنس والأكاذيب والمال. الممارسون غير الأخلاقيين هم أولئك الذين يتورطون " في تضارب المصالح المالية، أو يكذبون ويغشون، أو يستغلون مرضاهم وعملائهم الضعفاء. الطبيب الذي يحيل المرضى إلى أخصائيين يدفعون لها رشاوى مقابل الإحالات ؛ والعالم الذي يبالغ في أهمية اكتشافاته لتشجيع المستثمرين في شركته للتكنولوجيا الحيوية ؛ والمراسل الذي يخترع المصادر والاقتباسات ؛ والمحامي الذي يكذب على قاض أو الذي يتفاوض على تسوية يحصل على رسوم باهظة ولكنه صفقة سيئة للعميل ؛ الطبيب النفسي الذي يستخدم أريكته في أنشطة أكثر حميمية بكثير من المحادثة العلاجية - هذه حددت أفق الأخلاق المهنية حيث ينظر إليها المتخصصون عادة. عندما يتجادل المهنيون حول الأخلاق، فإنهم عادة ما يختلفون حول طرق التعامل مع الجنس والأكاذيب والمال التي تتجاوز الحدود وأنها لا. هل من غير الأخلاقي أن يجمع المحامون رسوم طوارئ كبيرة في القضايا السهلة؟ هذه أسئلة يناقشها المهنيون في اتفاقياتهم، ويكتبون مدونات أخلاقية لتسويتها. (إن تدوين الأخلاقيات المهنية هو في حد ذاته موضوع مثير للاهتمام ؛ غير أن هذا الحيز لا يسمح لي بمعالجته هنا). للاطلاع على مناقشة، من المفهوم في هذه المصطلحات، أن الأخلاقيات المهنية هي موضوع ذو أهمية عملية واسعة، لأنه على الرغم من اختلاف المهنيين حول حالات معينة، لا أحد يختلف مع المبادئ التي تمنع المهنيين من الكذب والغش واستخدام عملائهم لتحقيق ربحهم ومتعتهم⁽¹⁾.

⁽¹⁾David Lulan, Blackwell Companions to Philosophy A Companion to Applied Ethics Edited by R. G. Frey and Christopher Heath Wellman, by Blackwell Publishing Ltd , 2003, P. 583.

تعريف المهنة:

المهنة هي العمل الذي يتقنه صاحبه ويجعله مصدرا لرزقه و "أمهنة: استخدمه. وامتهن: اتخذ مهنة يقال: امتهن الحياكة مثلا. والمهنة: العمل. والعمل يحتاج إلى خبرة ومهارة وصدق بممارسته. ويقال: ما مهنتك ههنا ؟ : عملك. وخرج في ثياب مهنته: في ثياب يلبسها في أشغاله وتصرفاته"⁽¹⁾. وقيل أن المهنة "هي وظيفة مبنية على أساس من العلم والخبرة اختيرت اختيارا مناسباً حسب مجال العمل الخاص بها وهي تتطلب مهارات وتخصصات معينة ويحكمها قوانين وآداب لتنظيم العمل به والمهنة بصفة عامة هي حرفة تشتمل على مجموعه من المعارف العقلية ومجموعة ممارسات وخبرات وتطبيقات تهيكّل المهنة". والمهنة أيضا هي "العمل أو النشاط الذي يقوم به الفرد ليحقق ذاته ومتطلباته المادية والاجتماعية والنفسية وذلك في حدود قوانين المجتمع وما يرتضيه من أعراف وتقاليد".

وتتعدد المهن وتنوع بحيث يبدو للناظر أنه توجد لكل مهنة أخلاقياتها الخاصة بها والتي تحكم سلوك أعضائها وتقاليدهم ومعايير انتقائهم . وتحدد المكانة المهنية للمهنة ما بحسب ما تمتلكه من معايير أو خصائص مهنية حيث يقال إن مهنة ما ذات مكانة عالية حينما تقترب كثيرا من النمط المثالي للمهنة وإن كان ذلك لا يعني أنه لا توجد قواعد الأخلاق المهنة تحكم المين عامة⁽²⁾.

وعادة ما يحدث اختلاف حول اعتبار عمل ما مهنة أم لا؟ ومن هنا حاول البعض وضع معايير تميز المهنة وتجعل من ينتمون لعمل معين مهنيين ومن هذه المعايير:

- "توافر الأنشطة والخدمات المفيدة.
- توافر قدر من المهارات والخبرات الفنية المتخصصة

⁽¹⁾ إبراهيم مذكور وآخرين: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، ط4، القاهرة، 1980، ص890.

⁽²⁾ محمد كمال، ص54.

■ توافر الإنتاج الفكري المتخصص

■ وجود قواعد أخلاقية وسلوكية تحكم وتنظم العمل بين أفراد

المهنيين وزملائهم

■ وجود تجمع للعاملين بالمهنة يتحدث باسمها ويدافع عنها⁽¹⁾.

فليست كل مؤسسة اجتماعية مهنة. "وما دامت المؤسسة الاجتماعية هي أي نشاط ينشأ عن التزامات وأدوار اجتماعية، فإنها تتضمن نشاطات متعددة متنوعة مثل سوق الجملة، ومشاة البحرية الأمريكية، والزواج. وثمة معايير كثيرة تميز المهن عن المؤسسات الاجتماعية. لها سبعة معايير أساسية فقط مع ملاحظة أنه يمكن أن نعتبر مؤسسة ما مهنة، حتى وإن لم تحقق كل هذه المعايير، ويمكن أن تتحقق كل هذه المعايير في مؤسسة ولا نعتبرها ومع ذلك، تبدو هذه المعايير مفيدة في وصف بعض الخصائص المميزة المشتركة بين المهن. وهذه المعايير هي:

- 1- تمكن المهن عامة الناس من إحراز أهداف ذات قيمة اجتماعية، وفي الوقت ذاته يكون لدى المهنيين التزامات بإحراز هذه الأهداف فعلا.
- 2- تضمن المهن صراحة أو ضمنا معايير للكفاءة والسلوك تحكم النشاطات المهنية، وهي تساعد في ضمان إنجاز المهنيين لما هو منتظر منهم، وإن المهنة ككل تحقق الجودة والكفاءة.
- 3- يخضع المهنيون للتعليم والتدريب لفترة طويلة وبشكل رسمي و غير رسمي، وذلك قبل أن يثبتوا في المهنة، وهذا الجانب التعليمي والتدريبي يبدو ضروريا ليؤكد أن هؤلاء الناس يستوفون معايير المهنة.
- 4- تكون للمهن هيئة حاكمة لضمان استيفاء معايير المهنة
- 5- المهن وظائف أو عمل، والذين يمارسون أدوار مهنية يكسبون المال للتعيش نظير الدور الذي يمارسونه.

⁽¹⁾ محمد مهران: ص5.

6- يفوز المهنيون بامتيازات معينة لكي يقوموا بتقديم منتجاتهم وخدماتهم. ومع هذه الامتيازات تأتي المسؤولية والمصادقية: فالناس يسلمون بامتيازات معينة للمهنيين لأنهم يثقون في أن المهنيين سوف يقدمون سلعهم وخدماتهم في إطار مسؤولية أخلاقية.

7- ننظر غالبا إلى المهنيين على أنهم لهم سلطات عقلية داخل مجال خبرتهم تماما مثل رجال. الذين ينظر إليهم على أنهم ذوو معرفة خاصة وخبرة قانونية وقدرة على إصدار الحكم⁽¹⁾.

بين القيادة المهنية، تكمن قضية مختلفة في طليعة الأخلاق المهنية. وهذا ما يوصف في كثير من الأحيان بالمهنية ؛ وبشكل أكثر تحديدا، مثل الخسارة المفترضة للاحتراف وصعود النزعة التجارية في مناقشة الاحتراف، تتعلق القضية الأخلاقية الأساسية بتآكل المعايير والمثل العليا العريقة من قبل قوى السوق والممارسين المبتدئين الموجهين نحو السوق. يستأجر محامو الإصابات الشخصية لاعبي كرة القدم للتسويق لهم على التلفزيون في وقت متأخر من الليل («لا أحب أن أخسر ولا أعتقد أنك تفعل ذلك أيضا!»)؛ يعرض جراحو التجميل صورا قبل وبعد الشكل الأنف في الحافلات وسيارات مترو الأنفاق. لا تؤدي إعلانات الصحف الشعبية إلى إضعاف المهنة فحسب، بل إنها تسير جنبا إلى جنب مع المنافسة - ولا تؤدي المنافسة إلى انخفاض السعر فحسب، بل تؤدي إلى انخفاض الجودة، مما يؤدي إلى خدمة خط التجميع غير الجيدة. حتى منتصف الثمانينيات، ركزت المدونات الأخلاقية للمهنة على الحد من المنافسة في السوق من خلال تحديد الأسعار وحظر الإعلان. (لاحظ محام ألماني ذات مرة أن «الأخلاق القانونية تعني تنظيم حجم بطاقة عملك.») ليس من المستغرب أن تأتي الحجج على الجانب الآخر من نقاش الاحتراف من دعاة مؤيدين للمستهلك ومؤيدين للسوق. يتهم النقاد أن

⁽¹⁾ ديفيد ب. رزنك: أخلاقيات العلم، ص 62: 64.

التنظيم المهني وأيديولوجية «الاحتراف» ليست أكثر من مجرد مؤامرة من قبل النقابات المهنية للحد من المنافسة واحتكار القلة من المهنيين⁽¹⁾.

لكن هذا الرد ليس عاد تماما لأخلاقيات الاحتراف لأن التجارة يمكن أن تضر بالمستهلكين وكذلك تساعدهم. عندما يصمم الأطباء العلاجات وفقا للمواصفات شركات التأمين، أو عندما يبني الصحفيون سياسة التحرير على ما يباع بدلا من المعلومات، أو عندما يرفض المحامون القضايا المجانية لأنهم لا يريدون استعداء العملاء الأثرياء الذين لا يوافقون، فإن المهنيين البارزين يشكون لسبب وجيه هو أن قيم السوق قد تخلت عن القيم الأساسية للمهن - الخدمة والحرف والكرامة. (للاطلاع على مناقشة مثيرة للاهتمام لهذه المسائل⁽²⁾).

وهناك فارق بين المهنة وبين المهن المساعدة وهي تلك التي لا توجد بمفردها وإنما لابد أن توجد بجوار مهنة أخرى لتساندها في عملها ولا توجد بدونها" والتمريض مثال واضح للمهن اشبه الطبية فالعاملون بمجال التمريض على الرغم من كونهم يتلقون تعليماتهم من الطب بصفة شرعية، وعلاقتهم وثيقة بمهنة الطب والمشتغلين بها، إلا أن مهنتهم توصف باعتبارها مهنة شبه طبية، لأن المشتغلين بها يشغلون بصفة خاصة مواقع حول المهنة⁽³⁾.

ومن جماع ما سبق نجد أن المهنة هي ذلك العمل الذي يقوم به القائمون عليه بعد أن يتوافر لديهم قدر محدد من المعرفة والمهارات والخبرات الفنية المتخصصة التي تحددها الجهة القائمة على رعاية شؤون المهنة، ويخضع المهنيون للتعلم والتدريب لفترة طويلة من الزمن بما . يضمن قدرتهم على تحقيق الأهداف الاجتماعية التي يسعون لتقديمها وينتظرها منهم المجتمع سواء تقديم سلع أو خدمات، وتكون لهم هيئة مهنية حاكمة تحدد هذه الخبرات والأهداف والمعايير

⁽¹⁾David Lulan, P. 583.

⁽²⁾Ibid, P. 584.

⁽³⁾د جون ب. ديكسون: العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، ترجمة شعبة باليونسكو، عالم المعرفة، العدد 122، أبريل 1987، ص164.

وتراقب أعضائها في تحقيقهم لأهداف المهنة وتوقع عليهم العقوبات الملائمة عند خروجهم على مقتضيات المهنة. وفي مقابل الالتزامات التي يخضع لها المهنيون فإنهم في المقابل يحصلون على مجموعة من المميزات، مثل أن يكون الانضمام للمهنة مرهون بالشروط التي يضعها العاملون بالمهنة، وأن تقتصر الأعمال التي يقومون بها عليهم، ولا يصح لغير المهني بمزاولة المهنة، مما يحقق لهم عائدا اقتصاديا مناسباً لاحتكارهم العمل في هذه المهنة. وقد أدى هذا إلى تعاظم دور النقابات المهنية التي تدافع عن حقوق المهنيين الذي وصل إلى درجة تدخلها في رسم السياسات العامة للدول⁽¹⁾، مما أثار في المقابل العديد من التساؤلات حول تعاظم دور النقابات، وأنها أصبحت أقوى مما ينبغي، و أنه يمكن لغير المهنيين القيام بالأعمال التي يقوم بها المهنيون فلماذا يكون العمل بهذه المهنة قاصرا عليهم، خاصة مع تحول كثير من المهنيين إلى رجال أعمال أكثر منهم مهنيين⁽²⁾.

ومع ازدياد الاهتمام بالأخلاقيات المهنية لجأت النقابات والاتحادات المهنية والعمالية إلى وضع مواثيق أخلاقية تلزم أعضائها على أن يضم الميثاق الأخلاقي لأي مهنة القواعد المرشدة لممارسة المهنة للارتقاء بمثالياتها وتدعيم رسالتها. ورغم أهمية الميثاق في تحديد الممارسات والأولويات داخل مهنة معينة إلا أننا لا يمكن أن نفرضه بالإكراه ولكن بالالتزام وأن الطريقة الوحيدة للحكم على مهنة معينة هو سلوك أعضائها تلك المهنة إزاءها، والحفاظ على قيم الثقة والاحترام والكفاءة والكرامة. ويجب أن تتميز قواعد الميثاق الأخلاقي للمهنة باختصار، السهولة والوضوح، تكون معقولة ومقبولة عمليا، شاملة، إيجابية، توضح جميع الالتزامات المهنية أمام زملاء المهنة الواحدة، المهنة نفسها، المؤسسات التابعة لها، المستفيدين منها، الدولة، المجتمع⁽³⁾.

(1) محمد خليل إبراهيم حسن : النقابة كإطار مرجعي للسلوك المهني، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، قسم

الاجتماع - جامعة الإسكندرية، 1990، ص 106.

(2) محمد كمال، ص 56.

(3) المرجع نفسه، ص 56.

وهناك فارق بين المهنة و الوظيفة "فالمهنة هي مهارة تكتسب عن طريق دراسة طويلة و متخصصة ومنظمة وتجارب تدريبية وخبرات عملية وتخضع للتنظيم كمهنة الطبيب والمهندس، والمدرس، والفني. أما الوظيفة فيمكن أن نطلق معناها على كل عمل بنا الإنسان لدي آخر، أو لدى مصلحة حكومية أو شركة مساهمة مقابل أجر محدد أو متفق عليها"⁽¹⁾.

تختلف كل من أخلاقيات الصدق لدى الممارس وأخلاقيات القيادة المهنية عن الموضوع الفلسفي الأخلاقيات المهنية. حتى هنا يمكن تحديد أكثر من موضوع واحد. الأول هو نوع من الدراسة العرضية للمعضلات الأخلاقية من خلال تطبيق النظرية الأخلاقية بسبب متطلبات المناهج الدراسية الجامعية، أصبح هذا عنصرا أساسيا في أقسام الفلسفة، حيث، للأسف، غالبا ما ينظر إليه على أنه ابن زوجة محتقر. الأخلاقيات المهنية هي دورة خدمة يتم فيها تجنيد المدربين المبتدئين في التدريس في كل فصل دراسي، يسجل عدد قليل من الطلاب، معظمهم لديهم اهتمامات تكمن في مكان آخر غير الفلسفة. يخرج المعلم حفنة من الدبلوماسيين (إذا تم وصفها بشكل سطحي) - فورد بينتو المعرضة للحريق، المحامي الذي يخبره موكله بثقة بمكان دفن جثث ضحاياه، كارثة تشالنجر، أي من عشرات الأمثلة في الأخلاقيات الطبية ويتدرب على ما يجب أن يقوله "النفعي" و "عالم الأخلاق" و "منظر الفضيلة" عنها، في الغالب كوسيلة لتعليم التقاليد الرئيسية للنظرية الأخلاقية المعاصرة. بالنسبة لفيلسوف جاد، فإن دورة الأخلاقيات المهنية هي في أحسن الأحوال إلهاء عن الانضباط الأساسي. في أسوأ الأحوال، يمكن أن تبدو خيانة، مدرسة تجارية. بذل جهود مضللة لإدخال الفلسفة في المجتمع المحلي وتجميعها في المدرسة التجارية⁽²⁾.

⁽¹⁾ محمد خليل إبراهيم حسن : النقابة كإطار مرجعي للسلوك المهني، ص 106.

نقل لرعن محمد كمال، ص 57.

⁽²⁾ David Lulan, P. 584.

إذا قررت المدرسة التعامل مع الموضوع بشروطها الخاصة بدلا من أن تكون وسيلة لتدريس النظريات الأخلاقية، فسوف تثقف نفسها حول المهنة. عندما تفعل ذلك، سرعان ما تكتشف أن الحالات الشهيرة نادرا ما كانت مباشرة كما يجعلها الكتاب تظهر. لم يكن الممثلون يعرفون سوى القليل في ذلك الوقت ؛ أو كانوا مقيدون بالقانون ؛ أو «الرجل السيئ» كان في الحقيقة شخصية أكثر تعقيدا وغموضا من الشرير الكرتوني الذي تم تصويره في الكتاب. نظرا لهذه التعقيدات، لم تعد النظريات الأخلاقية تسفر عن إجابات نظيفة وواضحة، وفجأة بدأت دراسات الحالة في تقويض فائدة النظرية الأخلاقية في التفكير العملي بدلا من تسليط الضوء عليها.

بعد ذلك، تكتشف المدرسة أنه، من خلال ممارسة المهنة، تبدو النظريات الفلسفية مجردة للغاية بحيث لا يمكن أن تكون مفيدة لأنه، على حد تعبير أوليفر ويندل هولمز الأب Oliver Wendell Holmes، «الافتراضات العامة لا تقرر حالات معينة». علاوة على ذلك، في أشكالها الناضجة، تتضمن النظريات الأخلاقية استثناءات وتحسينات تم إدخالها للعناية بأمثلة مضادة مزعجة - ثم يطرحون السؤال في العضلات العملية الصعبة لأنه لا توجد طريقة لمعرفة ما إذا كانت العضلة في حد ذاتها مثال مضاد للنظرية. تشكك الحالات الصعبة في الأخلاق المهنية في كفاية النظريات الأخلاقية التي كان الفلاسفة يأملون في الأصل أن تحل القضايا. ما بدأ كاستجواب فلسفي للممارسات المهنية ينتهي بالفلسفة نفسها موضع تساؤل⁽¹⁾.

دور الأخلاق

بالإضافة إلى عرض القضايا، تثير الأخلاقيات المهنية مشكلة فلسفية أساسية ومثيرة للاهتمام للغاية، غالبا ما تعرف باسم مشكلة أخلاقيات الدور. هل يمكن للأدوار الاجتماعية الخاصة أن تخلق التزاماتها الأخلاقية الفريدة، تختلف عن

⁽¹⁾ Ibid, P. 585.

المتطلبات الأخلاقية اليومية، أو حتى تتعارض معها، مثل الصدق، والإحسان، والتعامل العادل، وتجنب الضرر، أو احترام الآخرين؟

باختصار، يمكننا وصف الأخير بأنه «أخلاق مشتركة». إن مبادئ الأخلاق المشتركة معترف بها ومفهومة على نطاق واسع في جميع انظمة المجتمع. إن الضرورة القاطعة، ومبدأ المنفعة، وفروعهم الأكثر غرابة - مبادئ أخلاقية مشتركة يتم تقاسمها على نطاق واسع بين الأشخاص غير المتعلمين والمتعلمين. علاوة على ذلك، فإن مبادئ الأخلاق الشائعة تكمن في الادعاء بأنها تنطبق على الجميع. وبالتالي، فإن الأخلاق الشائعة «شائعة» بمعنىين من الكلمة: فهي عادية أو يومية، وهي عالمية⁽¹⁾.

من الواضح أن المهن تولد واجبات محددة خاصة بها. والأطباء وحدهم هم الذين يضطلعون بواجبات فيما يتعلق بكتابة الوصفات الطبية، والمعلمون وحدهم مطالبون بتصنيف التلاميذ بشكل عادل. ولا تثير هذه الواجبات الخاصة مشكلة خاصة تتعلق بأخلاقيات الأدوار لأنه ليس لها نظراء أخلاقيون مشتركون في التوتر معهم. تنشأ مشكلة أخلاقيات الدور عندما يكون للواجبات المتعلقة بالأدوار نظراء خارج الدور، ويتصادم النظراء مع التزامات الأدوار. ستوضح بعض الأمثلة المشكلة. قد يضطر الصحفي إلى كسب ثقة مصدر إخباري ثم خيانة تلك الثقة، ونشر الحقيقة بمعرفة كاملة أن القيام بذلك سيقضي على سمعة شخص وثق به. على حد تعبير الصحفية جانيت مالكولم Janet Malcolm⁽²⁾.

"كل صحفي ليس غيبا جدا أو واثقا بنفسه بحيث لا يلاحظ ما يجري يعرف أن ما يفعله لا يمكن الدفاع عنه أخلاقيا. إنه نوع من رجل الثقة، يستغل غرور الناس أو جهلهم أو وحدتهم، ويكتسب ثقتهم ويخونهم دون ندم". عندما تدعو مالكولم الصحفيين إلى أنه لا يمكن الدفاع عنهم أخلاقيا، فإنها تتذرع بمعايير الأخلاق المشتركة. لكن أخلاقيات دور الصحفي تصر على أن قمع الأخبار بسبب

⁽¹⁾Ibid, P. 585.

⁽²⁾Ibid, P. 585.

الالتزام الشخصي تجاه مصدر الأخبار من شأنه أن ينتهك النزاهة الصحفية . لذا فإن أخلاقيات الدور تتطلب ما تجده الأخلاق الشائعة «لا يمكن الدفاع عنه».

قد يضطر المحامي إلى جعل الشاهد العدائي يبدو وكأنه أحمق أو مرتزق أو كاذب، مع العلم جيدا أن الشاهد يقول الحقيقة. ليس من المفترض أن يقلق المحامون عندما تسقط الرقائيق عندما يدافعون عن موكلهم. في الكلمات التي كثيرا ما يقتبسها المحامي اللورد هنري بروغهام Henry Brougham في القرن التاسع عشر: محامي، في أداء واجبه، لا يعرف سوى شخص واحد في جميع أنحاء العالم، وهذا الشخص هو موكله. إنقاذ ذلك الموكل بجميع الوسائل والفوائد، وبكل المخاطر والتكاليف التي يتكبدها الأشخاص الآخرون، ومن بينها واجبه الأول والوحيد ؛ وعليه عند أداء هذا الواجب ألا يأخذ في الاعتبار ناقوس الخطر، والعذابات، والدمار الذي قد يلحقه بالآخرين، بفصل واجب الوطني عن واجب المدافع، يجب أن يستمر في المخاطرة بالعواقب، على الرغم من أنه يجب أن يكون مصيره التعيس هو إشرارك بلاده في الارتباك⁽¹⁾.

نطق بروغهام بهذه الكلمات خلال قضية سياسية متقلبة تضمن فيها دفاعه عن موكله تهديدات بكشف الحقائق التي، بمجرد نشرها، ستكلف ملك إنجلترا تاجه. هل يمكن حقا أن يكون توجيه التهديدات هو واجب بروغهام؟ هل يجب أن يفوز بروغهام المعاصر الذي يدافع عن الإرهابيين المتهمين ببراءتهم من خلال التهديد بالكشف عن أدلة من شأنها أن تفجر غطاء العملاء السريين في البلدان المعادية، وتكلفهم حياتهم؟ الأدوار الأخلاقية تقول نعم، الأخلاق الشائعة، على الأقل كما يراها الكثير من الناس، تقول لا⁽²⁾.

قد يواجه المهنيون السياسيون «مشكلة الأيدي القذرة» بشكل شبه يومي للفوز بالانتخابات، قد يضطر السياسي الديمقراطي إلى عقد صفقات مع مصالح

⁽¹⁾Ibid, P. 586.

⁽²⁾Ibid, P. 586.

خاصة مشتتة تمثل كل ما يعارضه المرشح. في المجتمعات العنيفة و غير الديمقراطية، قد تكون المشكلة أكثر تطرفا: يجب على قادة الإصلاح سجن أو قتل خصومهم الذين لا يرحمون والذين سيقومون بخلاف ذلك بانقلاب وإعدام الإصلاحيين. قبل وقت طويل من وضع مكيافيلي المبدأ في كلمات، أدرك السياسيون أن الأمير الناجح يجب أن يتعلم كيف لا يكون جيدا وقد استنتجوا كل النتائج الطبيعية القائمة والقاسية التي تنبع من هذا المبدأ. إن الفشل في العمل وفقا لقواعد مكيافيلي بسبب المخاوف الأخلاقية يحكم فقط على أتباعك وناخبك بالهزيمة في أسوأ الحالات، إلى الاستعباد أو حتى الموت. لا عجب إذن أن يحذر الفيلسوف ستيوارت هامبشاير Stuart Hampshire:

من المؤكد أن الزعيم السياسي الذي يسمح بالالتزام بالتعامل العادل وبالعادلة الجوهرية في جميع الظروف لتجاوز تصميمه على الاحتفاظ بالسلطة، وحماية مصالح بلده، سيصبح غير فعال و عاجز ؛ وكان من الأفضل عموما أن يكون هذا الشخص قد سعى إلى الحصول على مسؤوليات عامة أو قبلها⁽¹⁾.
إن التأكيد، كما يفعل مكيافيلي، على أن الأمراء الذين يتحملون مسؤولية أخلاقية يجب ألا يكونوا صالحين هو تأكيد مشكلة دور الأخلاق في أشكالها الصارخة.

يعلم الطبيب الذي يعالج مريضا مصابا بفيروس نقص المناعة البشرية أن المريض قد مارس الجنس دون حماية مع العديد من الشركاء. هل يجب أن يحاول الطبيب الاتصال بالشركاء لتحذيرهم من وجوب اختبارهم؟ ماذا لو أراد المريض الاحتفاظ بالسر؟ تصنف الأخلاق الشائعة رفاهية الشركاء فوق الإحراج المحتمل للمريض، لكن أخلاقيات الدور الطبي تتضمن واجبات قوية للسرية يمكن القول إنها تعكس هذا الحكم⁽²⁾.

⁽¹⁾Ibid, P. 586.

⁽²⁾Ibid, P. 586.

وربما يواجه المهنيون، حتى في أكثر المنظمات المجهزة تجهيزا جيدا، مواقف لا يكون لديهم الخبرة أو التسهيلات التي تسمح لهم أن يلبوا المعايير المهنية، وعندما يحدث هذا وتتطلب الأمانة منهم أن يكونوا أمناء، فإذا لم يتمكنوا من تقديم ما هو ضروري، يجب عليهم إبلاغ أولئك الذي يستفيدون من خدماتهم ويساعدونهم في الوصول إلى المهنيين، حتى لو كانوا في منظمات منافسة⁽¹⁾.

احترام السرية

هناك مجالان رئيسان للسرية في الحياة المهنية.

- 1- السرية فيما يتعلق بالمعلومات المتعلقة بالمجتمعات وأولئك الذين يستخدمون خبرات المهنيين - المرضى والطلاب والعملاء... إلخ والمشاركين في البحث.
- 2- السرية فيما يتعلق بأعمال المهنة (أعني الاتصالات والإدارة، والسياسة) وهناك أسباب أخلاقية للحفاظ على السرية وانتهاكها في هذين المجالين ودرجة السرية ومستواها، ويمكن الحكم عليهما فقط من خلال النظر في الأهمية النسبية لهذه الأسباب في مواقف محددة، وننظر في هذا القسم إلى بعض هذه الأسباب⁽²⁾.

هناك أسباب للأمانة والاهتمام بالنتائج والاستقلال للحفاظ على هذه المعلومات بشكل سري بقدر الإمكان، وهذه الأسباب هي كالاتي:

■ لا يمكن للمهنيين في كثير من المهن - الطبية، التمريض، الاستشارات القانونية، الشرطة، أن يقدموا المشورة أو أن يصلوا إلى أحكام، أو أن يجعلوا الآخرين يستفيدون من خبراتهم ما لم يحصلوا على معلومات تفصيلية، والمشاريع البحثية لا تكون لها قيمة أيضا إذا لم يتم الكشف عنها للمشاركين على نطاق واسع، وبناء على هذا فإن المهنيين يعتمدون على تقديم المعلومات التي

⁽¹⁾ Ibid, P. 586.

⁽²⁾ فيشر ديفيد: الأخلاقيات والحرب، هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟، ترجمة: عماد عواد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 14، الكويت، 2014، ص 175.

يقدمها الناس، ولكن ربما يتسبب هذا في إيذاء المجتمعات، والعملاء والمشاركين إذا كانت المعلومات التي يحصلون عليها خاطئة، وللحصول على المعلومات كاملة يجب على المهنيين أن يحافظوا على سرية المعلومات، وللعمل بأمانة عليهم أن يحافظوا على هذا الوعد .

■ فإذا كانت الأهداف ليس من المرجح تحقيقها دون الكشف عن المعلومات بواسطة العملاء أو الآخرين، وإذا كان من غير المحتمل أن يقدموها دون ضمان السرية، فهناك سبب قوي يترتب على ذلك هو أن نقدم هذه الضمانات ونحافظ عليها.

■ وكما أشرت في الفصل السابق، فإن جزءا من احترام استقلال شخص ما هو التزامه بالقرارات المعلنة فيما يتعلق بما يجب فعله من معلومات عن نفسه، فإذا لم يرد الناس الكشف عن هذه المعلومات للآخرين، يجب على المهنيين أن يلتزموا بعدم القيام بذلك.

■ إن الأسباب التي تجعل المهنيين ينتهكون هذه السرية تعتمد أساسا على النتائج المترتبة على ذلك: وهي منع الضرر وجلب المنفعة، وهي النتائج التي لا يمكن أن تتحقق بأي وسيلة أخرى، فعلى سبيل المثال، ربما يرى المهنيون أن لديهم الأسباب الأخلاقية لانتهاك السرية فيما يقوم به عميل أو ينوي القيام به، فمن المرجح بالنسبة إليهم أن يمنعوا ضررا يقع على الجمهور أو إمداد الشرطة بأدلة على وقوع جريمة نتيجة هذا العمل، وربما يكون لدى معظمنا، في حقيقة الأمر، واجب قانوني لتمرير معلومات في مثل هذه الظروف، فعلى سبيل المثال، ربما يكون على ضباط الشرطة واجب قانوني لتقديم أدلة للأنشطة غير القانونية عندما يثقون في المعلومات المقدمة إليهم، كما أن على الأطباء واجب قانوني بالإبلاغ بأخطار الأمراض المعدية، فإذا ما نظرنا إلى انتهاك سرية المعلومات على أنها تعزز المنافع، فإنه من المرجح للمهنيين أن يبرروا أفعالهم عندما يتبادلون المعلومات، مع زملائهم من أجل تعزيز مصالح العملاء (على سبيل المثال، في حالة المؤتمرات في مجال العمل الاجتماعي) وفي حقيقة الأمر يمكن للعديد من الإجراءات المهنية أن تعمل

بفاعلية فقط، إذا ما تبادل الزملاء المعلومات بهذه الطريقة، ففي مثل هذه الحالات يجب أن تكون المعلومات المنقولة أكثر مما هو ضروري لتحقيق الأهداف المهنية، وبالإضافة إلى ذلك، يجب إذا كان هذا ممكنا أن يكون المصدر مجهولا ويكون التواصل بالطريقة التي تحول دون الوصول إلى ما لا يحتاجه الناس⁽¹⁾.

وعندما يتم تبادل المعلومات، فعادة ما تكون ضرورية، ومن ثم يجب على المهنيين العمل بأمانة عندما يكون ذلك مناسباً، وأن يفسروا هذا الاحتمال للعملاء، وهذا يتم توضيحه من الذين يمكنهم الحصول على المعلومات، ولماذا يجب عليهم أن يفسروا أي ظروف ضرورية تستدعي، بشكل استثنائي، تبادل المعلومات على نطاق أوسع من هذا فكلما شعر المهنيون أن هناك أسباباً ملحة الكشف عن المعلومات لأولئك الذين عادة ما يحصلون عليها، يجب عليهم، مرة أخرى، عندما يقتضى ذلك، إبلاغ الشخص الذي أعطاهم المعلومات أو الذي تخصصه هذه المعلومات، مفسرين أسباب انتهاك سرية المعلومات ومحاولين الحصول على موافقته على هذا الانتهاك إن أمكنهم ذلك⁽²⁾.

ويجب على المشاركين في المشاريع البحثية أن يقدموا تعهدات واضحة حول السرية ويجب أن يكون واضحاً لهم، أو لمن سيصل إلى المعلومات، ما إذا كانت المعلومات مجهولة المصدر، وكيف سيتم نشر النتائج التي توصل إليها الباحث، فإذا كان هذا ممكناً، وقبل نشر النتائج، فإن موافقة المشاركين في إفراجهم، بهذا الشكل، عن النتائج التي يمكن أن تنشر ويمكن الحصول عليها، فإذا لم يرض المشاركون عن الطريقة التي تم بها كتابة النتائج، يجب إجراء تعديلات إذا كان هذا ممكناً، وإذا فكروا في خدمة السرية وعدم الكشف عن هوية المصدر، فإن هذا

(1) المرجع نفسه، ص 175-176.

(2) المرجع نفسه، ص 176.

يعد سببا قويا للأخذ بوجهة النظر التي توجب إدخال التعديلات، وقد يكون القيام بذلك، بطبيعة الحال، مطالبا قانونيا بالنسبة لهم⁽¹⁾.

تعد أمثلة السرية مثل الأمثلة الأخيرة من بين أكثر الأمثلة إلحاحاً لمشكلة أخلاقيات الدور، وسأعتبرها الأمثلة الرئيسية في المناقشة التي تلت ذلك. العديد من المهن لديها واجبات سرية قوية. تقليديا، شمل ذلك المحامين والأطباء ورجال الدين، الذين تم إعفاؤهم جميعا بموجب القانون من واجب الإدلاء بشهادتهم في المحكمة حول ما قاله لهم موكلهم ومرضاهم وأبناء الرعية بسرية. يعترف علماء النفس والمحاسبون أيضا بالتزامات السرية، وقد ضمن الصحفيون قوانين الحماية التي تسمح لهم بحماية هويات مصادرهم السرية⁽²⁾.

لكن ماذا لو علمت المحامية من موكلها أن شخصا بريئا سيذهب إلى السجن، أو حتى ينتظر تنفيذ حكم الإعدام فيه، بسبب جريمة ارتكبتها الموكل؟ ماذا لو احتاج المدعى عليه الجنائي إلى شهادة مصدر صحفي، وما لم يكشف الصحفي عن هوية المصدر، فسيذهب المدعى عليه خطأ إلى السجن؟ ومن وجهة نظر الأخلاق الشائعة، قد يبدو من غير الأخلاقي تماما الوقوف مكتوفي الأيدي أثناء إعدام شخص بريء أو سجنه أو إصابته بالإيدز أو بالتزام مهني أو عدم وجود التزام مهني. لكن المحترفين يصرون على أنهم إذا كشفوا عن ثقتهم، فلن يشعر أحد بالأمان في تكليفهم بالمعلومات، وبعد ذلك لا يمكنهم القيام بعملهم. في هذه الأمثلة والأمثلة المماثلة، يصل التوتر بين الأخلاق المهنية والأخلاق المشتركة إلى الحد الأقصى: تتطلب أخلاقيات الدور ما يمكن القول إنه تحظره الأخلاق المشتركة. الأسئلة الفلسفية العميقة هي ما إذا كان هذا يمكن أن يكون صحيحا حقا، وإذا كان كذلك، فكيف⁽³⁾.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 176.

⁽²⁾ David Lulan, P. 587.

⁽³⁾ Ibid, P. 587.

هذه الأسئلة عميقة لأنها تختبر أسس الأخلاق والنظرية الأخلاقية. أيهما أكثر جوهرية، الأخلاق المشتركة أو دور الأخلاق؟ قد نشعر بالانجذاب بقوة نحو كلا الإيجابيتين. تعترف كل ثقافة بجوهر القواعد الأخلاقية العالمية (العالمية بمعنى أنها تنطبق على الجميع بغض النظر عن الدور الاجتماعي) - مثل مبادئ الوصايا العشر «لا تقتل» و «لا تسرق». علاوة على ذلك، فإن أبرز النظريات الفلسفية للأخلاق، الكانطية والنتائج، عالمية بنفس المعنى. تنطبق علينا جميعاً حتمية كانت القاطعة ومبدأ المنفعة بغض النظر عما إذا كنا أطباء أو محامين أو طلاباً أو عاطلين عن العمل. من منظور عالمي، تبدو الالتزامات الخاصة المرتبطة بالأدوار المهنية وكأنها تراكب مشكوك فيه على الأخلاق الأساسية. قد تبدو حتى وكأنها إعفاءات أخلاقية خاصة بمنحها المهنيون ذوو المصلحة الذاتية لأنفسهم لتعزيز قوتهم، وجعل خدماتهم أكثر قيمة، وإرضاء ضميرهم⁽¹⁾.

من ناحية أخرى، يحتوي كل مجتمع على أدوار اجتماعية معترف بها مع واجباته الفريدة. إن جميع المجتمعات لديها جنود، ولا يشك أي مجتمع في أن الجنود في بلدهم يمكنهم استخدام العنف الذي قد يكون بغضاً للآخرين لاستخدامه. علاوة على ذلك، نحن جميعاً نعيش في شبكات من المرفقات الفريدة والفردية، وهذه بشكل طبيعي تولد الولاءات، بما في ذلك ولاء المهنيين لعملائهم. الولاءات خاصة وليست عالمية، ويبدو أن الأخلاق العالمية التي لا تعترف بقيمة الولاء غير إنسانية ومعيبة جذرياً. توضح هذه الأمثلة أن الأخلاق العالمية بدون التزامات خاصة بالدور لا علاقة لها بالحياة الأخلاقية التي يعيشها الناس بالفعل⁽²⁾.

السرية وعلاقتها بالاتصالات والإدارة والسياسات داخل المهنة أو الهيئة

يتضمن التواصل بين المهنيين: المناقشة في اللجان، المحادثة غير الرسمية، البريد الإلكتروني، الهاتف، الخطاب، أما الإدارة فهي ترتيبات عامة تعمل بها هيئة

⁽¹⁾Ibid, P. 587.

⁽²⁾Ibid, P. 587.

أو مهنة ما، فعلى سبيل المثال، فإن صناعة القرارات والإدارة من اختصاصات اللجان والمعايير والقيم التي تبلغ اتخاذ القرارات والبروتوكولات ومواثيق السلوك وهلم جرا، أما السياسات فهي إستراتيجيات، وخطط واحترام يتم اعتمادها عبر المهنة أو المنظمة، وفيما يلي أهم الاعتبارات الأخلاقية للحفاظ على سرية الاتصالات والإدارة والسياسات⁽¹⁾.

الاتصالات

هناك أسس قوية للأمانة، وللنتائج وللاستقلال للحفاظ على سرية الاتصالات، ولنأخذ هذا المثال: لقد طلب من لجنة ما دراسة كيفية تحسين الممارسات التنظيمية، وللقيام بهذا العمل، كان أعضاء اللجنة في حاجة إلى أن يتناقشوا بحرية وصراحة عن الممارسات الفعلية في مختلف أقسام المؤسسة، إن المناقشة المفتوحة هي أقل شيء إذا ما اعتقد أعضاء اللجنة أن ما يقولونه ربما يتم الكشف عنه للآخرين داخل أو خارج، ومن ثم هناك أسس لابد أن يتبعها المهنيون للتعهد بالحفاظ على سرية هذه المناقشات، وبمجرد أن يتم هذا فإنهم ملتزمون بأن يحافظوا على هذا التعهد، وبالإضافة إلى ذلك فإذا ما رغب أعضاء اللجنة أن يحافظوا على سرية المعلومات، أو على الأقل ألا تنسب إليهم بشكل فردي، يجب على الزملاء أن يحترموا استقلالهم بالامتثال لهذه الرغبات، وهناك أسس مماثلة تدعم الحفاظ على صور أخرى من سرية الاتصالات، فإذا ما تواصل أعضاء مهنة ما عن طريق البريد الإلكتروني أو الخطاب أو المحادثات، عليهم أن يكونوا على ثقة من أن ما يقولونه سري، وإذا أرادوا أن تكون ألاتهم أكثر فاعلية، إذا كان بإمكانهم الاعتماد على هذا، ومرة أخرى هناك أسس، والنتائج وللاستقلال للحفاظ على سرية اتصالاتهم⁽²⁾.

⁽¹⁾ فيشر ديفيد: الأخلاقيات والحرب، ص 178.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 178.

الإدارة والسياسات

هناك أسس للأمانة وللنتائج وللأستقلال وللحفاظ على سرية الإدارة والسياسات ومع ذلك فهي بشكل عام، أضعف مقارنة بالحفاظ على سرية الاتصالات وسنتطرق بدورنا إلى هذه الأسس.

تطالب الأمانة المهنيين أن يحافظوا على سرية السياسات والترتيبات الإدارية فقط إذا كانت لديهم الصراحة والضمان للقيام بذلك، وينظر إلى مثل هذا التعهد، في بعض الأحيان، على أنه جزء من ولاء الأفراد لمهنتهم أو منظمتهم. فمتى توقعت المهن بشكل طبيعي أن تخضع للمساءلة بشكل علني فيما يتعلق بطرق عملها، فإن أعضاء معظم المهن من غير المرجح أن يصدر عنهم مثل هذه التعهدات، فلا توجد على سبيل المثال أسباب واضحة الكشف عن العضوية والاختصاصات والمعايير العامة الأخرى التي تعمل عليها مجالس الفحص والمؤتمرات، ومع ذلك فإن هناك أسمن بابا لعدم الكشف عن تفاصيل الحالات التي يتم النظر إليها لأنها تشمل معلومات عن العملاء وهلم جرا، بالطبع قد تكون هناك عوامل خاصة (مثل حقوق الملكية الفكرية أو الاعتبارات التجارية). والتي تحول دون أن يطلع على تفاصيلها جمهور الناس، مثل تصميم عمليات الإدارة والمعلومات التي يتم تنفيذها بإجراءات إدارية وسياسية، فإذا ما تم الكشف عنها فإن هذا يؤدي إلى أن تفقد المنظمات المميزات التنافسية والمهنية لتحسين إجراءاتها، وقد يكون لديهم سبب وجيه للتوقع أو لطلب أن يحافظ موظفهم على سرية هذه التفاصيل، إن الأمانة إذن، تطالبهم بعمل هذا⁽¹⁾.

وتطالب الاعتبارات المتعلقة بالنتائج بمثل هذه السرية، فعلى سبيل المثال، إذا تم الكشف عن التفاصيل التنفيذية الناتجة عن خسارة منافع منظمة أو مهنة ما، ربما يكون للأعضاء ميل أقل لتحسين وسائلهم في العمل، وتظل الكفاءة والإدراك أقل لتطوير الممارسات الجيدة، ونتيجة للأهداف المهنية ذات القيمة لا

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 179.

يمكن تحقيقها بسهولة وعلى أية حال فهناك احتمال ضعيف أن تكون هذه الاعتبارات المتعلقة بالنتائج ذات صلة بالكشف عن الترتيبات العامة.

ويمكن أيضا أن تكون اعتبارات الاستقلال مرتبطة بسرية الممارسات التفصيلية إذا كان الناس لديهم خبرة مساهمة لتطوير الممارسات فقط على أن يكون مفهوما أنهم سيحافظون على السرية، فإذا ما اعترضوا على أن تكون أفكارهم متاحة للآخرين فإن هذا مثال جيد لاحترام رغباتهم⁽¹⁾.

وفيما يلي الأسس الأخلاقية لانتهاك السرية في علاقتها بالاتصالات والإدارة والسياسات، فإذا كانت الاتصالات والإدارة والسياسات غير متوافقة مع القيم المهنية، فإن هناك أسبابا جيدة لتوجيه الأنظار إليها إذا ما كان الناس داخل منظمة أو مهنة ما أو خارجها، وقد يكون هناك على سبيل المثال، سبب لتوجيه الأنظار إلى:

- الاتصالات والإدارة والسياسات التي تتعامل مع الناس بطريقة غير نزيهة أو عادلة (مثل اشتغالها على مواقف عنصرية أو جنسية أو ضد المثليين أو التمييز الظالم ضد أفراد وجماعات).

- ومن المرجح للاتصالات والإدارة والسياسات أن تكون لها نتائج ليست في صالح العملاء والزلاء وأفراد الجمهور أو المجتمع ككل.

- الاتصالات والإدارة والسياسات التي تفشل في احترام الاستقلال الذاتي (على سبيل المثال في عدم إعلان الناس بالموقف أو عدم السماح لهم بالاختيارات عندما يكون هذا ملائما).

- الاتصالات والإدارة والسياسات التي تهدد أمانة المهنة والهيئة أو حتى أعضائها على سبيل المثال، عن طريق عدم الامتثال للمعايير المهنية المقبولة والتفاهات المهنية الأخرى⁽²⁾.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 180.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 180.

ومع ذلك لا يمكن التبرير بوجه عام لأعضاء المهن أن ينتهكوا السرية حتى لو كانت الاتصالات والإدارة والسياسات ضد أي قيم شخصية لديهم وتختلف عن القيم المهنية.

يجب على المهنيين قدر المستطاع أن يكونوا أمناء مع العملاء والزلاء فيما يتعلق بسرية المعلومات المتعلقة بهم والاتصالات والإدارة والسياسات، ويجب عليهم أن يوضحوا : ه مستوى السرية التي يقدمونها ودرجتها (على سبيل المثال، الذين يتم النظر إليهم بشكل طبيعي على أنهم في حاجة لتقييم المعلومات على أساس مدى سرى ولماذا هم في حاجة إلى هذه المعلومات)⁽¹⁾.

- الأسباب والظروف التي ربما تجيز انتهاك هذا المستوى الطبيعي من السرية.

الإفصاح وكشف الأسرار

قبل كشف المهنيين عن معلومات الاتصالات والإدارة والسياسات للأفراد الذين ليست لديهم هذه المعلومات، عليهم أن ينظروا في هذه النقاط التالية:

- إن الكشف عن معلومات الاتصالات والإدارة والسياسات يمكن أن يضر الأفراد والروح المعنوية المهنية والثقة بين الزلاء، وبناء على ذلك يجب على المهنيين قبل الإفصاح، أن ينظروا ما إذا كانت مخاوفهم يمكن معالجتها من خلال التحدث مع الأفراد المسؤولين عن الاتصالات والإدارة والسياسات، إن تلك المسؤولية بالنسبة لهم من الممكن أن لا تعي أثارها ومن الممكن أن يغتنموا هذه الفرصة لتعديلها على الفور⁽²⁾.

- يجب على المهنيين قبل الإفصاح عن المعلومات المتعلقة بأفعال الأفراد، أن يحاولوا التأكد ما إذا كانت بها مخالفة القيم المهنية بشكل متعمد ومتوقع أو بشكل غير متعمد وغير متوقع، فإذا ما كانت هذه المخالفة غير متعمدة،

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 180.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 181.

أو غير متوقعة، عندئذ ليس من العدل أن نفصح بالطريقة التي تتهم الآخرين بالمخالفات، هذا سبب آخر للكشف عن معلومات الاتصالات والإدارة والسياسات مع مسؤوليتهم قبل تقديم المعلومات للآخرين.

- يجب على الأفراد الذين يفصحون عن معلومات تتعلق بالاتصالات والإدارة والسياسات أن يفترضوا أن هذه المسؤولية تستحق اللوم⁽¹⁾.

- إن تقديم معلومات تتعلق بالاتصالات والإدارة والسياسات لأولئك الذين ليست لديهم في العادة هذه المعلومات من المرجح أن يتم تبريرها إذا:
 - كان من المحتمل وبشكل كبير أن تتسبب في ضرر وممارسات غير مقبولة يمكن تفاديها من خلال نقل المعلومات.

- أن يبدو نقل المعلومات هو السبيل الوحيدة لتفادي المشكلات.
- أن يتم تمرير كم المعلومات اللازمة لتحقيق هدف مبرر أخلاقيا، ويتم حجب المعلومات الشخصية إذا كان ذلك ممكنا.

- يتم اتخاذ إجراء الحد من أي ضرر يمكن أن يتسبب فيه انتهاك السرية⁽²⁾.

- فإذا كان المهنيون على يقين من أنهم يجب عليهم الإفصاح عن المعلومات، فيجب إذن النظر فيما إذا كان المتلقى يجب عليه أن يكون داخل أو خارج منظمة أو مهنة، لأن مثل هذا الاهتمام من شأنه أن يتجنب الأضرار، ويتم تحديد تمرير المعلومات لمن هم خارج المهنة أو المنظمة فقط بعد استنفاد محاولات تصحيح المشكلة داخل هيئات مهنية تنظيمية أو حكومية لديها سلطة، وخبرة لاتخاذ إجراءات فاعلة، أما إذا كانت هذه المنظمات غير موجودة أو أنها تفكر بطريقة غير مناسبة، وتنتشر معلوماتها للآخرين بشكل محدود، فإن أساسها الهادف

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 182.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 182.

من المرجح أن يكون مفضل من الناحية الأخلاقية. مرة أخرى على أساس الحد من الضرر، مقارنة بتقديمها إلى وسائل الإعلام والجمهور⁽¹⁾.

وبشكل عام فمن غير المرجح بالنسبة للمهنيين أن يبرروا تقديم المعلومات لوسائل الإعلام والجمهور (أي كشف الأسرار) حتى تكون لديهم وسائل مقنعة لتصحيح المشكلة بوسائل أخرى. إن الثقة في المهنة بوجه عام لا يمكن اعتبارها خيار مبكر، من ناحية أخرى، يمكن أن يؤدي فقد الثقة في المهنيين إلى عدم اتخاذ إجراءات كافية عندما يكونون على وعي بأن الممارسات المهنية تفتقر إلى الأمانة.

سواء كانت المعلومات المعطاة لشخص ما خارجية أم داخلية فإن الاعتبارات الأخلاقية الرئيسية للمهنيين هي ما إذا كان من غير المقبول الاستمرار في تبرير إمكان الإضرار بالأفراد نتيجة إعطائهم معلومات لا تكون في العادة لديهم⁽²⁾.

يبدو إذن أن اختيار نقطة انطلاق للتحليل يطرح السؤال. إذا بدأنا من الافتراض بأن الالتزامات الأخلاقية بطبيعتها عالمية، فإن ادعاءات أخلاقيات الدور تقع تلقائياً تحت بسحابة من الشك. ولكن إذا بدأنا من الافتراض بأن الأخلاق مبنية مثل الفسيفساء من واجبات، وولاءات خاصة بالأدوار، فإن الأخلاق الشائعة مهددة بالذوبان أمام أعيننا.

إن اختيار نقاط البداية مسألة عملية بشكل مكثف، ويشكل أي من الخيارين تهديدات عميقة لسلامتنا الأخلاقية. إذا كان للدور الأسبقية، فكيف يمكننا انتقاد المهنيين للقيام بما يتطلبه عملهم؟ التهديد هو الرضا عن النفس والطاعة الطائشة. ولكن إذا كانت للأخلاق الشائعة الأسبقية، فكيف يمكن للأخريين - عملائنا ومرضانا وقرائنا وناخبينا الاعتماد علينا للقيام بعملنا؟ التهديد هو خيانة صالحة للمراهقين للتوقعات بدافع رفض تلويث أيدينا. كما كتب إف إتش برادلي

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 182.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 183.

Bradley F.H ذات مرة، «الرغبة في أن تكون أفضل من العالم هو أن تكون بالفعل على عتبة الفجور». كل من التهديد - الطاعة غير النقدية والفاشلة - هي مخاطر مألوفة يمكن للجميع التعرف عليها⁽¹⁾.

المحاولة الأولى في الحل: هياكل من مستويين

إحدى الطرق المألوفة لمحاولة التوفيق بين الأخلاق المشتركة العالمية والأخلاق الخاصة بالدور هي من خلال الهيكل ثنائي المستوى للنفعية الحاكمة. فالنفعيون يحرمون من تطبيق مبادئهم العالمي الأساسي، وهو مبدأ المنفعة، مباشرة على القرارات الأخلاقية الفردية. والسبب هو أن تطبيق المبدأ مباشرة من شأنه أن يخلق الكثير من عدم اليقين وانعدام الأمن في تعاملاتنا مع بعضنا البعض. لأخذ مثال مميز من الأخلاق المهنية، لن تتمكن العملية أبدا من الاعتماد على محامها (النفعي) في الحفاظ على سرية المعلومات الحساسة لأنه في اللحظة التي يستنتج فيها المحامي أن الكشف عن المعلومات سيخلق فائدة أكثر من الضرر، سيتعين عليه القيام بذلك. في الواقع جادل جيريمي بنثام Bentham، أحد مؤسسي النفعية، صراحة على أسس نفعية بأنه يجب السماح للمحامين بالكشف عن أن موكلهم مذبذب لأنه بعد ذلك سيتم تطبيق القانون بشكل أفضل وسيستفيد المجتمع، بدا بنثام غير منزعج من أنه لن يتمكن أي منا من الاعتماد على ولاءات محاميننا، أو أصدقائنا في هذا الصدد، إذا علمنا أنه الأسباب أخلاقية سيخونوننا كلما طلبت منهم حسابات المرافق القيام بذلك. مزح القاضي هولمز ذات مرة عن صديقه العزيز لويس برانديز، وهو نفعي من حيث المزاج، قائلا: «أنا متأكد من أنه لن يحرقني في حريق بطيء إذا كان ذلك في مصلحة هدف غير مهم للغاية»⁽²⁾.

تستجيب نفعية القاعدة لمثل هذه الشواغل بالإصرار على أن مبدأ المنفعة يستخدم لاختيار القواعد، وليس الأفعال الفردية. بمجرد اختيار القواعد، نتبعها

⁽¹⁾David Lulan, P. 588.

⁽²⁾Ibid, P. 588.

ليس لأن القيام بذلك يخلق فائدة أكثر من كسرهما (قد لا يكون كذلك)، ولكن لأنها القواعد المعمول بها. هذا يحل مشكلة انعدام الأمن لأنه يمكننا الآن الاعتماد على الأشخاص الذين يتبعون القواعد بدلا من إجراء حساب لكل حالة على حدة للمنفعة⁽¹⁾.

لنفترض إذن أننا نحدد الأدوار المهنية من خلال قواعد سلوكهم. في هذه الحالة، يمكننا التوفيق بين وجهة نظر الأخلاق العالمية مثل النفعية والمتطلبات الخاصة للأدوار الاجتماعية الفريدة. القواعد والأدوار مبررة من الناحية العالمية، لكنها تفرض واجبات خاصة بالدور. يتبع المحامون قاعدة الحفاظ على سرية الوكلاء. التبرير القياسي للقاعدة عالمي ونفعي على نطاق واسع: واجب السرية يطمئن العملاء إلى أنه يمكنهم مناقشة مشاكل محرجة أو حساسة مع محاميهم دون تسريب المعلومات. ولكن بمجرد تطبيق القاعدة، فإنها تتطلب من المحامين تفضيل موكلهم على الآخرين بطريقة تدين الأخلاق الشائعة. على سبيل المثال، يتعين على المحامي الحفاظ على سرية اعتراف العميل على الرغم من دخول رجل بريء إلى السجن بسبب جريمة ارتكبها العميل⁽²⁾.

كما اتضح، لا شيء في الهيكل ذي المستويين يتطلب أن تكون الأخلاق الأساسية نفعية. لا يزال غير النفعي يواجه خيار تطبيق الأسباب الأخلاقية على الأفعال الفردية أو على القواعد أو السياسات العامة. يمكن لأي نظام أخلاقي يقيم القواعد بدلا من الأفعال، ثم يحكم على الأفعال الفردية من خلال عدسة القواعد، أن يستخدم نفس الهيكل ذي المستويين. في هذه الحالة، يمكن للنظرة الأخلاقية العالمية أن تولد أخلاقيات دور خاص، بشرط أن تكون القواعد التي تحدد الأدوار هي نفسها مبررة أخلاقيا⁽³⁾.

⁽¹⁾Ibid, P. 588.

⁽²⁾Ibid, P. 589.

⁽³⁾Ibid, P. 589.

تعديل ودي: من مستويين إلى أربعة

مع ذلك، يبدو الهيكل ذي المستويين غير مكتمل بصيغته الحالية. ضع في اعتبارك مرة أخرى واجب المحامي في السرية. لقد قلنا إن المحامين يحتفظون بثقة الموكلين، وإلا فإن العملاء سيترددون في مشاركة الأسرار مع محاميهم. لكن هذا يدعو إلى الرد: "وماذا في ذلك؟ لماذا من المهم جدا أن يشارك العملاء الأسرار مع المحامين؟" الجواب الواضح هو أنه بخلاف ذلك لا يمكن للمحامين القيام بعملهم. بعبارة أخرى، يتم تبرير قاعدة السرية من خلال دور المحامي. على عكس نفعية القواعد، لا نقيم فائدة القاعدة مباشرة، من خلال السؤال عن مقدار الفائدة التي تخلقها. نحن نقيمها بشكل غير مباشر، من خلال السؤال عن مدى أهمية الدور⁽¹⁾.

لكن هذا يدعو إلى السؤال التالي: لماذا الدور مهم؟ ما هو الشيء الرائع في دور المحامي لدرجة أننا يجب أن نطلب من المحامين الحفاظ على ثقتهم حتى عندما يعاني الأبرياء؟ هنا، الإجابة النموذجية هي أن المحامين يلعبون دورا لا غنى عنه في نظام الخصومة. بدون قاعدة السرية لن يخبر العملاء محاميهم بما يحتاجون إلى معرفته من أجل الدفاع عن قضاياهم بشكل فعال - ولا يعمل نظام الخصومة إلا إذا كان لدي كلا الجانبين دعاة فعالين. يتم تبرير الدور من قبل مؤسسة اجتماعية⁽²⁾.

حما، يدفعنا ذلك إلى التساؤل عن مدى قيمة المؤسسة. قد تكون الإجابة على السؤال الأخير مثيرة للجدل بشدة. في مثال سرية المحامي لدينا، تعمل الإجابات عادة على النحو التالي: يساعد نظام الخصومة في البحث عن الحقيقة. أو: نظام الخصومة هو طريقة جيدة للتأكد من دعم حقوق كل متقاض. أو: يسمح نظام الخصومة للمحاكم بأن تظل محايدة لأن المحامين وليس القضاة يتحملون مسؤولية تطوير القضايا وإعدادها. كل هذه الإجابات تعتمد على فرضيات واقعية

⁽¹⁾Ibid, P. 589.

⁽²⁾Ibid, P. 589.

قابلة للنقاش. قد يتضح أنه لا يوجد شيء كبير في نظام الخصومة، وأننا نبقى بعيدا عن الجمود لأنه ليس أسوأ من البدائل الممكنة. إذا كان الأمر كذلك، فمن المفترض أن تكون واجبات أخلاقيات الدور أضعف بكثير مما ستكون عليه إذا كانت المؤسسة مبررة بشدة⁽¹⁾.

في هذه المرحلة، استبدلنا الهيكل ذي المستويين للنفعية الأساسية بهيكل من أربعة مستويات يتم تبرير الفعل الفردي المتمثل في الحفاظ على ثقة العميل بقاعدة السرية تبرر القاعدة أهميتها الدور اجتماعي، دور المحامي. وهذا الدور له ما يبرره بإظهار أنه محوري بالنسبة للمؤسسة أي للنظام العدائي. وأخيرا، يحكم على المؤسسة وفقا لمدى جودتها.

يساعد اتباع هذه الاستراتيجية المكونة من أربعة مستويات في استعادة إمكانية انتقاد أخلاقيات الدور المهني على أسس أخلاقية. إذا كان الدور أو المؤسسة غير مبررة أخلاقيا، كذلك تكون قواعد الأخلاق المهنية والادعاء بأنه من واجب المهني اتباعها. يقدم آرثر أبلباوم Arthur Applbaum مثالا معبرا في تحليله لمهنة مهنية غير عادية: مهنة تشارلز هنري سانسون Charles-Henri Sanson، الجلاد العام في باريس خلال الثورة الفرنسية. ترأس سانسون المقصلة في جميع أنحاء الإرهاب بمهنية لا تشوبها شائبة، وتم إعدامه بضمير حي⁽²⁾.

المجرمون العاديون في ظل النظام الملكي الدستوري، «المتآمرون» المملكون بتوجيه من كومونة باريس، الملك عند إدانته من قبل المؤتمر الوطني، الجيرونديون المعتدلون عندما طهرهم اليعاقبة، المتطرفون الهيرتينيون Hébertistes بتحريض من دانتون، الدانتونيين المتسامحون بعد إدانتهم من قبل روبسبت.

على ما يبدو، لم يجد سانسون شيئا رائعا في قطع رأس صاحب العمل بالأمس بأمر اليوم، واليوم تحت قيادة الغد. إذا كانت هناك حالة طاعة طائشة

⁽¹⁾Ibid, P. 589.

⁽²⁾Ibid, P. 590.

لدور مهني، فهذه هي. يقودنا التحليل رباعي المستويات إلى تركيز النقد على أخلاقيات المؤسسة التي خدمها سانسون بطاعة كبيرة هل يمكن تبرير فصل عقوبة الإعدام تماما عن الحكومة المنظمة وسيادة القانون؟ بالطبع، يعتقد الكثير من الناس أنه لا يمكن تبرير عقوبة الإعدام. لكن القضية هنا مختلفة. حتى مؤيدي عقوبة الإعدام من المرجح أن يوافقوا على أن هذه الممارسة بغضبة أخلاقيا في ظل ظروف الإرهاب إذا كان الأمر كذلك، فلا يمكن تبرير دور سانسون، والقواعد التي ينشئها، وعمليات الإعدام التي يتم تنفيذها وفقا لتلك القواعد⁽¹⁾.

الأدوار المهنية العدائية

لكن ليس فقط الأدوار الاستثنائية مثل جلاد باريس هي التي يصعب تبريرها. العديد من الأدوار المهنية تضع مصالح العملاء في مواجهة مصالح الآخرين، وبالتالي تتطلب من المهنيين إيذاء شخص - ربما شخص بريء تماما نيابة عن شخص آخر. تشمل الأدوار العدائية بوضوح محامي قاعة المحكمة والمستشارين السياسيين والجنود ورجال الأعمال التنفيذيين. لكن قد يتولى مهنيون آخرون أحيانا أدوار عدائية، بمعنى أن أداء واجباتهم المهنية قد يتطلب منهم إيذاء الأبرياء. كما يظهر مثال سرية فيروس نقص المناعة البشرية لدينا، حتى الأطباء قد يشغلون دورًا عدائياً⁽²⁾.

يقدم المدافعون عن الأدوار العدائية العديد من الحجج لهم، ولكن ربما يكون من المدهش أن أيا منهم لا يعمل بشكل جيد. كما يوضح ألباوم، فإن كل من الدفاعات القياسية لدور الأخلاق العدائي تخطئ بين الادعاءات المتشابهة التي تبدو مختلفة تماما في الواقع. تأمل مثلا في الممارسة العدائية المتمثلة في الخداع والافتراء السياسيين. غالبا ما يجادل المدافعون عن دور المستشار السياسي «كل شيء يسير» بأن المعارضين السياسيين يتوقعون أن يتعرضوا للافتراء، ويتوقع النخبون أن يتم

⁽¹⁾Ibid, P. 590.

⁽²⁾Ibid, P. 590.

خداعهم. ولكن بعد ذلك ينزلق المدافعون من هذه الملاحظة، قد تكون صحيحة، إلى حجة مختلفة تماما مفادها أن المعارضين السياسيين، من خلال الترشح لمنصب، يوافقون على الافتراء لأنهم يعرفون ما الذي يدخلون فيه. ومع ذلك، فإن معرفة ما تدخل فيه ببساطة ليس هو نفسه الموافقة عليه. لذا فإن الانتقال من «توقعته» إلى «وافقت عليه» غير شرعي. وبنفس الطريقة، ينزلق المدافعون عن الأدوار العدائية أحيانا من النقطة الصحيحة التي مفادها أنه يجب على المستشار السياسي تصفية مصلحته الذاتية إلى استنتاج مختلف تماما مفاده أنه يجب عليه تصفية أحكامه الأخلاقية. أو ينزلقون من الملاحظة الدقيقة بأن قواعد لعبة السياسة، كما يفهم المحترفون تلك القواعد، تسمح بالافتراء والخداع، إلى الاستنتاج غير المبرر بأن الافتراء والخداع عادلان لأن القواعد تنطبق على الجميع. أو يجادلون بأن المؤسسة العدائية تخلق فائدة أكثر من الضرر، لكنهم يستنتجون بعد ذلك أن الجميع يستفيدون من المؤسسات العدائية. يشير ألباوم إلى أن المدافعين في كل حجة يبدأون بادعاء قد يكون صحيحا، لكنه لا يبرر السلوك العدائي كثيرا، ثم يقفزون إلى ادعاء مشابه يبرر السلوك العدائي ولكنه غير صحيح⁽¹⁾.

جميع الحجج التي ينتقدها ألباوم هي معايير في دراسات الأخلاق المهنية: إنه لا يهاجم شخص خيالي. لكن نقد ألباوم يسفر عن نتيجة مقلقة. إذا اتضح أن الأدوار العدائية لا يمكن تبريرها، فإن ادعاءات دور الخصومة الأخلاقية على وشك الانهيار. لم يعد بإمكان المستشار السياسية مناشدة دورها المهني لتبرير التكتيكات الميكافيلية، ولم يعد بإمكان المحامية التي تحجب معلومات الحياة والموت عن الأبرياء لتجنب تعريض العميل للمسؤولية الضارة أن تبرر صمتها من خلال مناشدتها واجب السرية في نظام الخصومة.

قد نعتقد أنه كان أفضل بكثير. ما يجعل هذا الاستنتاج مقلقا هو أنه يشير أيضا إلى أن المهنيين في البيئات العدائية يجب أن «يقاتلوا نظيفين» حتى لو كان

⁽¹⁾Ibid, P. 591.

خصومهم يقاتلون بشكل قذر. هذا يبدو غير عادل في الأساس. بموجب قواعد الاشتباك هذه، سيتعرض عملاء المهنيين « النظيفين » للهزيمة على أيدي « القذرين » على الجانب الآخر. سيتعلم العملاء تجنب المساعدة المهنية اللائقة أخلاقيا والبحث عن السيئين. سيتم طرد المحامين والمستشارين السياسيين المحترمين من العمل، تاركين فقط السيئين. تبدو مثل هذه الاستنتاجات غير بديهية أو حتى خاطئة⁽¹⁾.

هذا لأنها استنتاجات خاطئة يمكن استخلاصها من حجة ألباوم. تقول الحجة أنه إذا فشلت مبررات المؤسسات والأدوار العدائية، فإن أخلاقيات الدور العدائي تفشل أيضا. الاستنتاج، الذي تم ذكره بعناية، هو أن دور الخصومة الأخلاقي لا يمكن أن يسود على الأخلاق المشتركة. ولكن ما هي أخلاقنا الشائعة في البيئات العدائية عندما يقاتل خصومنا بقذارة؟ الحقيقة اللافتة للنظر هي أن القليل منا لديه إجابات واضحة ومتماسكة على هذا السؤال. من ناحية، نقول لأنفسنا أحيانا أن خطأين لا يصحان، ونحن ندرك الفضيلة في قلب الخد الآخر. على الجانب الآخر، نقول لأنفسنا أيضا أنه يتعين عليك محاربة النار بالنار، وأن هذا التحول هو اللعب النظيف. فيما يتعلق بهذه المسألة، فإن الأخلاق المشتركة تتعارض مع نفسها: لا يمكننا أن نحسم أمرنا سواء قبلنا أو رفضنا أخلاق مبدأ "واحد بواحدة". لا عجب إذن أن الإصرار على السلوك المستقيم من جانب واحد من قبل المتخصصين في البيئات العدائية يبدو خاطئا. الأخلاق الشائعة لا تصر على السلوك المستقيم الانفرادي أيضا. ندين الأعمال الانتقامية التي تؤذي الأبرياء. لكننا ندرك أيضا أن قلب الخد الآخر يشجع خصومنا فقط على الاستمرار في القتال القذر، وأن الانتقام قد يثبت أنه ضروري للحفاظ على السلام - حتى لو كان عملاء خصمنا بلا لوم. يؤكد منظرو اللعبة هذا الحدس، بحجة أن اللاعبين في تكرار ألعاب معضلة السجين (بيئة الخصومة الكلاسيكية) نادرا ما يجدون استراتيجية أفضل من التصرف «بشكل جيد» حتى يوجه خصمك ضربة منخفضة، ثم

⁽¹⁾ Ibid, P. 591.

الانتقام. لنفس الاسباب التي يؤمن بها قلة من الناس بالفعل في قلب الخد الآخر، فإن قلة من الناس يريدون الدفاع عنهم من قبل جيش من دعاة السلام - أو محام يدير الخد الآخر عندما يلجأ محامي الجانب الآخر إلى الحيل القذرة⁽¹⁾.

إن الاستنتاج القائل بأن الأخلاق المشتركة قد تحتوي في حد ذاتها على عناصر عدائية لا يبطل نقد أبلباوم لدور الأخلاق العدائي. قد لا تنجو أجزاء أخرى من أخلاقيات الدور العدائي المقبولة بشكل عام، مثل قواعد السرية الشاملة، من إدراك أن المؤسسات العدائية تحت العديد من الحالات التي لا يمكن الدفاع عنها. والواقع أن بعض المعلقين القانونيين - الأخلاقيين - لديهم متطلبات سرية صارمة لأن الحجج الداعية إلى الأخلاقيات المؤيدة للدور هي حجج ضعيفة للغاية⁽²⁾.

الإلزام الخلقي للمهنيين

إن حالة المهنيين أقرب إلى الأفراد الناضجين الذين يحملون مسؤولية أخلاقية تنعكس على القيم الأخلاقية، مقارنة بالأطفال الذين من واجهم الانصياع للقواعد، فالمهنيون لديهم الخبرة - أي مجموعة من المعارف والخبرات والمهارات، والتي من المتوقع أن تسود في حالات بعينها، ومن ثم يجب عليهم أن ينظروا إلى كل العوامل الأخلاقية المرتبطة بهم. تلك العوامل التي يمكن أن تشتمل على مظاهر تقنية الحالة ما، مثل التشريعات المتعلقة بالتشخيص الطبي، واحتياجات العميل، والتوقعات المتوخاة بينهم كمهنيين في التعامل مع جميع الأطراف بعدالة والسعي لتحقيق أفضل النتائج. إن اتخاذ القرارات المناسبة في ضوء كل هذه الاعتبارات لا يمكن اختزالها في الانصياع لمجموعة من القواعد الأخلاقية، فالمهنيون، ليسوا، كما يأمل الفلاسفة الوجوديون أحرارا في اختيار قيمهم من لا شيء، إذا يجب أن

⁽¹⁾Ibid, P. 592.

⁽²⁾Ibid, P. 592.

يتمسكوا بقيم موجودة لأداء دورهم، وهم في حاجة لقدر من الحرية للربط بين هذه القيم وتطبيقها في ظروف معينة⁽¹⁾.

إن تصوير الأخلاق في المهن على أنها الانصياع للقواعد يمكن أن يؤدي إلى نتائج غير مرغوب فيها، فالناس بطبعهم يميلون إلى إيجاد طرق للالتفاف حول القواعد والقوانين، ويستطيعون الفكاك منها، على الرغم أنهم يبدون وكأنهم يؤيدونها بحرفية. وتظل الأخلاق موضوعا للتقيد بالمعنى الحرفي للقاعدة أو القانون، بدلا من إصدار أحكام بشأن أفضل الطرق للعمل في جو حيوي من القيم الأخلاقية، فإذا ما حدث هذا، وإذا ما ظهرت حالات غير متوافقة تماما مع القواعد، عندئذ لا يكون لدى الأفراد استعداد لإصدار أحكام حول ما يجب القيام به، وهذا ما أدى إلى انتشار المواثيق المنظمة في السنوات الأخيرة، وقد ازدادت الأمثلة على السلوك الأخلاقي في المهن وتصدرت العناوين، وارتفعت الأصوات مطالبة بعدد أقل من القواعد وزيادة الشعور بالمسؤولية الأخلاقية واحترام الذات أكثر من النظر إلى أنفسهم بوصفهم أفرادا لديهم الثقة في أن يقرروا أفضل طريق لتفسير وتطبيق المبادئ الأخلاقية العامة مقارنة بالأفراد العاديين الذين يطلب منهم طاعة القواعد⁽²⁾.

بطبيعة الحال، فإن النظر للقيم الأخلاقية بوصفها مبادئ عامة، تتوافق مع الهيئات المهنية والمجموعات الاستشارية التي تصوغ التوصيات بشأن ما يجب تفسيره وتطبيقه بشكل طبيعي، كما أن هذه النظرة تتوافق مع المهن المتطورة التي لديها الكثير من البروتوكولات والقواعد الاستشارية فيما يتعلق بأنشطة محددة.. مثل تخزين البيانات، والحصول على إجماع، وأخذ عينات الدم وعمل الاستبيانات. إن مثل هذه التوصيات والقواعد الاستشارية تفترض طرقا لوضع المبادئ موضع التنفيذ، فالتوصيات التي تتعلق بمعالجة البيانات تعد جزءا من الاهتمام بأفضل

⁽¹⁾ فيشر ديفيد: الأخلاقيات والحرب، ص 70.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 71.

النتائج المرجوة ومنع وقوع أضرار من موضوعات البحث كخرق الخصوصية، كما أن البروتوكولات التي توضع للحصول على موافقة الناس تعد طريقا يعبر عن احترام الاستقلال الذاتي⁽¹⁾.

ولا شك أن هذه الطرق والمبادئ الإرشادية والقواعد والبروتوكولات لا تبتعد عن المسؤولية الأخلاقية، واستقلال المهنيين، الذين ما زالوا يقدرّون كيف يجب أن تمارس المبادئ الإرشادية العامة في مواقفهم العملية، بتدخل القواعد الاستشارية حيز اللعبة متى اتخذ المهنيون قرارا بأنه من الصواب القيام بالإجراءات التي تطبق القواعد، فضلا عن أن بروتوكولا ما يمكن أن يوفر، مثلاً، نموذجا لأشكال موافقة الناس، وما زال يتعين على المهنيين أن يقرروا ما إذا كان يجب عليهم التكيف مع هذا النموذج، مع الأخذ بعين الاعتبار كل العوامل الأخلاقية المتعلقة بالحالة⁽²⁾.

على ضوء هذه الاعتبارات فإن توحيد القيم من شأنه أن يحقق نجاحا في أن يؤدي المهني دورا أفضل من خلال النظر في المبادئ العامة الأربعة:

- 1- البحث عن أفضل النتائج الأكثر نفعا والأقل ضررا .
- 2- معاملة الأفراد معاملة عادلة ونزيهة، دون تمييز بينهم على أسس ليست ذات صلة، وإبداء الاهتمام باحتياجاتهم الفردية .
- 3- احترام استقلال الأفراد إلى أقصى حد ممكن داخل المجتمع، مع الوضع في الاعتبار المصالح المشروعة للجميع.
- 4- السلوك بأمانة وذلك وفق مبادئ المهنة وتعهداتها وأهدافها المعلنة أو الضمنية.

⁽¹⁾المرجع نفسه، ص71.

⁽²⁾المرجع نفسه، ص72.

إن استخدام مثل هذه المبادئ باعتبارها أساساً لتعبيراتهم عن القيم ومواثيق السلوك والمهن التي تتبني قيما، تعد جوهرية لإنجاز دور المهنيين بنجاح في المجتمعات الديمقراطية المعقدة ثقافياً⁽¹⁾.

وقد ينظر البعض إلى مثل هذه المبادئ على أنها قاصرة لأنها لا تتضمن أي مرجع للحقوق، ولكن هذه النظرة غافلة وذلك راجع لسببين: الأول: أننا نهتم بتحديد الالتزامات الخلقية وليس القانونية للمهنيين، ومن ثم يجب على المهنيين بطبيعة الحال، أن يحترموا الحقوق القانونية للأفراد، ولكن ليس من الضروري هنا إدراج هذا الالتزام القانوني. الثاني: أن وجهة النظر التي تقول بأنه يجب على المهنيين أن يحترموا الحقوق الأخلاقية للأفراد ليست مدرجة هنا، لأن أي حقوق أخلاقية تتعلق بالمهنيين يمكن أن تشتق من المبادئ المدرجة بالفعل، فعلى سبيل المثال، الادعاء بأن كل فرد له الحق الأخلاقي في الرعاية الصحية يمكن أن يشتق من مبادئ معاملة الأفراد بعدالة والبحث عن أفضل النتائج للجميع، يستنتج من هذا، ومن خلال الاعتماد على المبادئ الأربعة المذكورة سابقا، أن المهنيين يشتركون، بالفعل، في القيم التي تقوم عليها الحقوق الأخلاقية المتعلقة بعملهم كمهنيين. إن احترام الحقوق الأخلاقية لا يحتاج، إذن، أن يصبح بندا أخلاقيا مستقلاً⁽²⁾.

وربما يشعر البعض أن هذه المبادئ قاصرة لأنها تستبعد أي مرجع للرعاية والمحبة، على الرغم أن هذا يعد من الأمور المهمة في بعض المهن، لقد تم استبعادها لأنها تقدم القليل من الإرشاد بشأن ما يجب القيام به بالفعل في الواقع، إذا لم يتم تفسيرها في حدود المبادئ الموجودة بالفعل ضمن هذا الإطار، كتقديم الرعاية للآخرين، وتعزيز وجودهم واحترام رغباتهم ومعاملتهم بعدالة⁽³⁾.

التعديل المتبادل للوسائل والغايات

(1) المرجع نفسه، ص 72.

(2) المرجع نفسه، ص 72-73.

(3) المرجع نفسه، ص 73.

وفقا لتحليل الأدوار الأخلاقية على أربعة مستويات، فإن الأدوار المهنية جزء لا يتجزأ من المؤسسات الاجتماعية التي يمكن تقييمها أخلاقا كلما كان التبرير الأخلاقي للمؤسسة أقل اقناعا، قلت قوة مطالب الدور. تفوز أخلاقيات الدور اذا كانت المؤسسة ذات قيمة كافية، وقال الدور مركزيا بدرجة كافية للمؤسسة، والقواعد ضرورية بما يكفي للدور. إن الضعف في أي من حلقات سلسلة التبرير هذه يضعف متطلبات أخلاقيات الدور. أخلاقيات الدور⁽¹⁾.

مع ذلك، هناك شيء أحادي الاتجاه للغاية حول هذا التحليل. يجادل لون فولر (Lon Fuller) بأنه لا يمكن الحكم على الواجبات المهنية من خلال "المعايير الأخلاقية... بغض النظر عن الزمان والمكان والظروف". بدلاً من ذلك، فإن الحكم عليهم «ينطوي دائما على تعديل متبادل بين الغايات والوسائل». قد تبدو بعض الغايات المهنية مقبولة أخلاقيا حتى نكتشف مدى بغیضة الوسائل المتاحة ؛ قد تبدو بعض الواجبات المهنية غير معقولة حتى نفكر في مقدار الضرر الذي قد يلحقه التخلي عنها بمؤسسة تستحق العناء. من وجهة نظر فولر، لا يمكن الحكم على المؤسسات بشكل مجرد، بصرف النظر عن الوسائل المطلوبة لجعلها تعمل. وعلى العكس من ذلك، ينبغي عدم إدانة الممارسات المهنية لمجرد أنها تصدم الضمير للوهلة الأولى، دون التساؤل عما إذا كان التخلي عن هذه الممارسات سيقوض الأهداف الاجتماعية التي لا غنى عنها مثل توفير الخدمات القانونية والطبية. بدلاً من ذلك، نضع أنفسنا في كلا الحكمين⁽²⁾.

على سبيل المثال، تخلق معظم الولايات القضائية الأمريكية استثناء من السرية من خلال مطالبة المحامين بالكشف عن شهادة الزور لموكليهم للمحكمة. والنتيجة هي أن محامي الدفاع غالبا ما يحرصون على عدم معرفة الحقيقة من موكليهم، حتى لا يكونوا أبدا في وضع يسمح لهم بمعرفة أن العميل قد حنث

⁽¹⁾David, Lulan, P. 592.

⁽²⁾Ibid, P. 592.

بنفسه. ليس من النادر أن يقلل هذا الجهل المتعمد من جودة الدفاع لأن تعامل المحامي الدقيق حول الحقيقة منعه من تعلم الحقائق التي يحتاجها حقا. يخلص بعض المحامين إلى أنه لهذه الأسباب فقط لا ينبغي مطالبة المحامين بالكشف عن شهادة الزور للعميل، وإن هذا الشرط يمنع المحامين من تقديم أفضل دفاع. لكن وجهة النظر الاجتماعية داخل المهنة هي أنه إذا كان أفضل دفاع جنائي يتطلب من المحامين مواكبة شهادة الزور من العميل، فإن الدفاع الجنائي الأسوأ هو الأفضل أخلاقيا. يوضح هذا وجهة نظر فولر بأنه في بعض الأحيان يجب علينا التخلي عن نهاية تستحق العناء (أفضل دفاع جنائي) بسبب الوسائل البغيضة التي يتطلبها على العكس من ذلك، أصبحنا نقبل أنه حتى المتهمين المذنبين يجب أن يكون لديهم تمثيل قانوني كاف، وأن التمثيل المناسب لا يشمل المحامين الذين يقفون في المحكمة ويقولون، «خمنوا ماذا، حضرة القاضي، أخبرني موكلي أنه فعل ذلك!» نظرا لأن المتهمين ليسوا مطالبين بتجريم أنفسهم، فسيكون ذلك أسوأ من عدم وجود محام على الإطلاق. لذلك نتوقع من المحامين الجنائيين الدفاع عن المذنبين دون الكشف عن ذنبهم، وبالتالي توقف معظمنا عن التفكير في أنه من الخطأ أخلاقيا أن تحافظ مدافعة جنائية على سرية معرفتها بذنب العميل. يوضح هذا نقطة فولر الأخرى التي مفادها أننا أحيانا نخفف من إدانتنا الأخلاقية لواجب مهني لأنها وسيلة لتحقيق غاية نقدرها بشدة⁽¹⁾.

لقد قمنا الآن بتعديل الهيكل الأصلي ذي المستويين لدور الأخلاق مرتين، أو من خلال توسيع التحليل ليشمل جميع المستويات الأربعة (المؤسسة، الدور، القاعدة، العمل)، وثانيا من خلال قبول نقطة فولر بأن التبرير يتحرك في كلا الاتجاهين بين المستويات. وهناك نقطة إضافية جديرة بالتركيز.

يجب على المهنيين إعطاء وزن كبير للمطالب المبررة لأدوارهم. أي أن أخلاقيات الدور لا يمكن ببساطة موازنتها مع الأخلاق المشتركة خلاف ذلك، في كل

⁽¹⁾ Ibid, P. 593.

مرة ينشأ فيها تعارض بين أخلاقيات الدور وأخلاقيات المشتركة، سيدعن المهنيون للأخلاق المشتركة لأن الضرر الذي يلحقه أي انشقاق عن الدور بالدور أو المؤسسة عادة ما يكون طفيفا. لكن الشخص المهني الذي ينشق عن الدور في كل حالة من حالات الصراع الأخلاقي لن يتبقى له نزاهة مهنية، وبالكاد يمكن القول إنه يمارس المهنة. يتطلب إبقاء نفسك كمحام أو طبيب أن تتعامل مع متطلبات الدور المهني على أنها معايير افتراضية لا يمكن انتهاكها إلا في ظروف غير عادية. قوة هذه المعايير، التي تحددها أوراق الاعتماد الأخلاقية للمؤسسة الاجتماعية التي تخلق الدور، تخبرنا كيف يجب أن تكون مثل هذه الظروف غير عادية⁽¹⁾.

احترام الاستقلال الذاتي

إن احترام الاستقلال الذاتي للناس يعني، ببساطة، احترام وجهات نظرهم فيما يريدون أن يفعلوا، وفي الطريقة التي يحبون أن يتعامل بها الآخرون معهم، وفي الطريقة التي يريدون أن يعيشوا بها حياتهم. إن التزام المهنيين باحترام الاستقلال الذاتي للناس بقدر الإمكان داخل مجتمع يجب أن تؤخذ فيه المصالح المشروعة للجميع بعين الاعتبار، والناس الذين نتحدث عنهم هنا هم عادة ما يكونون عملاءهم وزملاءهم وآخرين يرتبطون بهم بعلاقات مهنية، ومن الطبيعي أن ننظر في هذا الفصل إلى الأفكار والالتزامات الأخلاقية لا إلى الأفكار والالتزامات القانونية - ويجب على المهنيين أن يتأكدوا أنهم يعرفون المطالب القانونية أو المهنية التي تقع على عاتقهم فيما يتعلق بالقضايا التي تناقشها هنا⁽²⁾.

يعتقد الناس بوجه عام أنهم مستقلون ذاتيا إذا:

- ✓ فهموا موقفهم، بما في ذلك الخيارات المتاحة لهم والنتائج التي تترتب عليها.
- ✓ تحرروا من الإكراه... أعني إذا لم يكونوا مجبرين على أن يتخذوا قرارا أو يتصرفوا بطريقة ما.

⁽¹⁾Ibid, P. 593.

⁽²⁾ فيشر ديفيد: الأخلاقيات والحرب، ص 145.

- ✓ لم يتم خداعهم، فالخداع شكل من الإجبار، فمن يخدع الآخرين عمدا إنما يتلاعب بهم.
- ✓ يجب على المهنيين لاحترام الاستقلال الذاتي أن
- ✓ يسمحوا للناس أن ينفذوا قراراتهم التي اتخذوها لأنفسهم فيما يتعلق:
- ✓ بما يجب أن يفعلوه
- ✓ وبما سيفعلونه
- ✓ وبما يجب أن يفعله الآخرون لهم.
- ✓ وبما يجب أن يفعله الآخرون بالمعلومات الخاصة بهم
- ✓ وبما يمكن الآخرون من اتخاذ قرارات مستقلة⁽¹⁾

ويستخدم بعض الناس مصطلح "الاستقلال الذاتي" ليشمل الاهتمام بمصالح الناس، مثلما يشمل احترام رغباتهم وقراراتهم، ووفقا لهذه الوجهة من النظر، يجب علينا الاحترام الاستقلال الذاتي الناس، عدم التأثير على مصالحهم تأثيرا سلبيا، ولا يستخدم هذا الكتاب الاستقلال الذاتي بمعنى الاهتمام بمصالح الناس، وذلك لأن رغبات الناس في بعض الأحيان تتعارض مع مصالحهم، فإذا ما حدث ذلك يجب على المهنيين أن يحققوا توازنا بين التزاماتهم واحترام رغبات شخص ما متعارضة مع التزاماتهم للسعي لتحقيق مصالح أفضل؛ لذا من الخطأ أن نفكر في الرغبات والمصالح تحت عنوان واحد، وبدلا من ذلك، يتم النظر الى التزام المهنيين تجاه مصالح الأفراد على أنها جزء من الالتزام بالعمل بأمانة⁽²⁾.

احترام الاستقلال الذاتي في الممارسة المهنية:

لا يعني احترام الاستقلال الذاتي، سواء عند الزملاء أو العملاء أو غيرهم، ترك الجميع يفعلون ما يشاؤون، فقبل أن نسمح للناس بالقيام بما يريدون، يجب أولا أن ننظر فيما إذا كانوا بالفعل مستقلين ذاتيا أو لا.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 145، 146.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 146.

فهل هم مدركون بالفعل لموقفهم؟ هل هم تحرروا من الإجبار؟ هل هم مخدوعون؟

هذه الأسئلة مهمة في كثير من المواقف المهنية، فهناك صغار السن أو من يعانون من اضطراب عقلي، على سبيل المثال، لديهم القليل من الفهم لموقفهم، ولا يمكن القول بأنهم مستقلون ذاتيا، ومن ثم يجب احترام موقفهم، ولا يتحمل الهنيون، في مثل هذه الظروف، المسؤولية بأن يسمحوا لهم بالقيام بكل ما يريدون، وسننظر في المناقشة التالية في هذه القضايا لا سيما فيما يتعلق باحترام المهنيين لاستقلال عملائهم الذاتي، ولكن معظم النقاط تنطبق على احترام المهنيين لزملائهم وللآخرين ولأولئك الذين لديهم علاقات مهنية معهم⁽¹⁾.

إن قدرات الأفراد على تنفيذ هذه الأنشطة بوضوح تتفاوت مع تنشئتهم وتعليمهم، ومرحلتهم العمرية وحالتهم العقلية ومدى ألفتهم لموقفهم، حيث يبدو أن الأطفال الرضع والناس المصابين بغيوبة ليس لديهم القدرة على اتخاذ قرارات واعية، في حين يمكن للأطفال الصغار وأصحاب العاهات الحقلية أن تكون لديهم قدرة محدودة، كما أن الناضجين الذين يتخذون قرارات ينظر إليها على أنها واعية لا يكونون قادرين دائما على التفكير بطريقة صحيحة في مواقف معقدة وغير مألوفة إذا ما كانوا في حالة صدمة أو واقعين تحت ضغط أو يعانون من مشاعر قوية أو مجرد أنهم متعبين جدا، وغالبا ما يجد الناس صعوبة لكي يفكروا بوضوح في هذه المسائل المعقدة، ولذلك لا يجب على المهنيين، أن ينظروا إلى بعض الأفراد على أنهم قادرون دائما على اتخاذ قرارات مستقلة وأن ينظروا إلى بعضهم الآخر على أنهم غير قادرين على ذلك، ولكن يجب عليهم أن يحاولوا التأكد من مستوى الفهم، ومستوى القرار الذي يستطيع أن يتخذه فرد محدد في موقف محدد، فربما يحكمون على سبيل المثال، على شخص مسن معاق عقليا بأنه قادر تماما على اتخاذ قرار يتعلق بكيفية قضائه للساعة التالية، ولكن ليس ما إذا كان يجب أن

(1) المرجع نفسه، ص 147.

تكون لديه رعاية سكنية أو أن يعيش في منزل، إن اتخاذ قرار على مستوى فهم شخص ما بحيث يكون قرارا مستقلا في موقف ما قد يكون صعبا، ودائما ما يكون من غير المعقول أن نطالب شخصا بعينه بأن يكون قادرا على إظهار فهم كامل لكل القضايا المعقدة، قبل النظر فيما إذا كان هو/هي قادرا على اتخاذ قرار مستقل. من المعقول أن نقبل قرار شخص ما بأنه مستقل إذا هو أو هي:

- كان على وعى بجوانب ظروفه التي تعد أكثر أهمية في الموقف المهمي.
- أدرك الآثار والنتائج الأساسية لاختياراته المفتوحة⁽¹⁾.

أصيب أرمل مسن يعيش بمفرده بجلطة دماغية طفيفة ونوبة قلبية ذهب على أثرها إلى المستشفى في حالة إعياء ويحتاج إلى خدمة عاجلة في ارتداء الملابس، كما يجد صعوبة في صعود الدرج ونزوله، وقبل أن يتم نقله إلى منزل العائلة أشارت لاختصاصية الاجتماعية إلى ضرورة مغادرة الأرمل المسن هذا المنزل والانتقال إلى الشقة حيث يوجد رقيب لمساعدته في السكن، غضب الأرمل المسن ورفض أن ينصرف، قائلا إنه يمكن أن يدير منزل العائلة مع شخص يأتي لمساعدته، تتشكك الأخصائية الاجتماعية فيما إذا كان سيسير على هذا النهج وما إذا كان يمكنها أن تقيم بطريقة واقعية، الصعاب التي يواجهها المسن وقدراته على التعامل معها، ترى الأخصائية الاجتماعية أن هناك رغبة مهيمنة على هذا الأرمل المسن في أن يعود إلى الحياة الطبيعية في منزله ومن ثم تتساءل، عما إذا كان يجب عليها محاولة إقناعه بالعدول عن رأيه، فهي تعرف أن مشاعر الأرمل المسن تعبر عن حسن نيته، ومن ثم، فإنها في موقف قوى لكي تؤثر عليه، فهل ستتقبل قرار الأرمل المسن أولا؟ وهل هناك شيء آخر يجب عليها القيام به؟⁽²⁾

من الممكن أن تسأل الرجل عن الطريقة التي يتعامل بها إذا حدثت أمور معينة، ومن الممكن أن تشجعه على التفكير بواقعية فيما يتعلق بظروفه، وأن

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 148.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 149.

تساعده في الحكم على قدراته في التعامل مع أي مشكلة، ومدى رغبته في البقاء في منزله ناتجة عن قرار واع، كما أن الأخصائية الاجتماعية ستكون في وضع أفضل لكي تقرر مدى أهمية التزامها بحماية الأرملة المسن من أي أذى مقابل التزام الأرملة المسن باحترام استقلاله الذاتي. وينظر الناس في بعض الأحيان إلى الآخرين بوصفهم مخدوعين وغير قادرين على اتخاذ قرارات مستقلة لأنهم يعتقدون بأن الآخرين ليسوا جزءا من الأديان المألوفة أو من وجهة نظر ثقافية، فعلى سبيل المثال إذا اعتقد الرجل المسن أنه يمكنه التواصل مع زوجته الراحلة عندما يكون في منزل العائلة، ربما ينظر إليه بعض الناس على أنه مخدوع، ولكن مثل هذه المعتقدات في حد ذاتها لا تجعله غير قادر على اتخاذ قرارات مستقلة، فهو يمكن أن يتعامل مع هذا الموقف معتمدا أكثر على ما إذا كان يفهم أو يعرف كيف يتعامل مع المشكلات العملية أكثر من أن يفحص هذه المعتقدات، وبالإضافة إلى ذلك، فيجب عليهم ألا ينظروا إلى معتقدات شخص ما على أنها غير مألوفة وأقل إقناعا ومعقولة، مقارنة بالمعتقدات التي هي أكثر ألفة واحتراما⁽¹⁾.

دور الأخلاق كقانون طبيعي

كان فولر من بين أوائل الكتاب الذين استخدموا مصطلح "دور الأخلاق"، والذي أصر على أنه "ليس مجرد إعادة صياغة للمبادئ الأخلاقية التي تحكم السلوك البشري بشكل عام، ولكن معايير خاصة تنطبق على أداء وظيفة اجتماعية مميزة". نفى فولر أن الدور الأخلاقي لا يمكن تبريره إلا بتضمينه في الأخلاق المشتركة، كما تفعل إجراءات التبرير المكونة من خطوتين وأربع خطوات. تستند حجته حول أخلاقيات الدور المستقل إلى جانب من جوانب الأخلاق المهنية التي أهملناها حتى الآن: الطابع التقني المميز للعمل الذي يقوم به المهنيون⁽²⁾.

(1) المرجع نفسه، ص 149.

(2) David, Lulan, P. 594.

لقد انسكب قدر لا بأس به من الخبر من قبل علماء الاجتماع الذين حاولوا تحديد مفهوم «المهنة». ولأغراضنا، فإن السمة الهامة التي تميز المهن عن المهن الأخرى هي أنها تحتاج إلى التدريب متخصص في موضوع هو نفسه صارم فكريا، موضوع بحث متخصص. إن الحقائق المتعصبة للموضوع تحدد وتقيد ما يفعله المهنيون ؛ يفرضون ما أسماه فولر «المعايير الخارجية»، مما يميز الصوت عن الممارسة المهنية غير السليمة. الكثير لا جدال فيه. الأمر المثير للجدل هو اعتقاد فولر الإضافي بأن موضوعات المهن تفرض قيودا أخلاقية وتقنية على الممارسة المهنية المختصة - وهو نوع من القانون الطبيعي للمهن⁽¹⁾.

مثال يوضح ما قصده فولر من أجل تنفيذ المهمة الفنية لفحص المرضى، يجب على الأطباء التفاعل مع المرضى بطرق تتطلب ثقة كبيرة من جانب المريض وحساسية الطبيب. نحن نقف أمام أطبائنا، وهذه مجرد البداية. ينظرون إلينا ويلمسوننا ويتلاعبون بنا ويسألوننا أسئلة حميمة للغاية. في ضعف المرض، يطمئنوننا أو يثبطوننا، أو يرفعوننا أو يسحقون أرواحنا، باختيار كلمة واحدة. يتطلب العلاج الناجح للمريض حساسية هائلة من جانب الطبيب. الحقائق الطبيعية الجسم الإنسان تجعل من المستحيل على الطبيب علاج المريض دون خلق علاقة أخلاقية بينهما هذه العلاقة الأخلاقية هي المصدر الحقيقي لأخلاق دور الطبيب⁽²⁾.

من المثير للاهتمام، أن التركيز على الموضوع الفني للمهن مثل فولر لا يولد مشكلة أخلاقيات الدهر فحسب، بل أيضا المشكلة الأخلاقية للاعتراف وتوترها المزمع مع النزعة التجارية.

عندما يشجب قادة المهن النزعة التجارية، فذلك لأنهم يدركون أن السعي وراء الثروة يمكن أن يصرف المهنيين عن القيام بما تتطلبه الوظيفة. مع التمويل

⁽¹⁾Ibid, P. 594.

⁽²⁾Ibid, P. 594.

الحكومي، يقطع المهندس الزوايا حتى يتمكن مكوك الفضاء تشالنجر من الإنطلاق في الوقت المحدد - لكن لا يمكنك خداع الطبيعة الأم، وينفجر المكوك. فالمهنية، التي ينظر إليها في ضوء ذلك، تتمثل بالتحديد في وضع الضرورات الطبيعية لأداء العمل فوق المصالح التجارية مباشرة⁽¹⁾.

وجهة نظر فولر هي أن العلاقات الأخلاقية اللازمة للممارسة المهنية الناجحة هي نفس القدر من الضروريات الطبيعية للقيام بالمهمة بشكل صحيح مثل الجوانب الفنية للعمل المهني. إذن، ترقى حجة فولر القوية إلى الدفاع عن أولوية أخلاقيات الدور. ويشير إلى أن الإجراءات المكونة من خطوتين وأربع خطوات لتضمين دور الأخلاق في الأخلاق العامة تفشل لأنها تتجاهل القانون الطبيعي الذي أنشأته الحقائق التي يتعامل معها المهنيون. تنشأ العلاقات الأخلاقية بين المهنيين وغيرهم من الطريقة التي ينشأ بها العالم. إنها ليست مجرد شيء اختلقه المهنيون ويمكن التخلي عنه في حالات الصراع الأخلاقي⁽²⁾.

مع ذلك، قد تكون أفكار فوار مضیئة، لا أعتقد أنها تقضي على مشكلة أخلاق الدور وتوتراتها الأخلاق المشتركة. العلاقات الأخلاقية بين المهنيين وغيرهم هي، بشكل بارز، علاقات اعتماد. يعتمد العملاء والمرضى وقراء الصحف وأبناء الرعاية على المحامين والأطباء والمراسلين والكهنة لأداء واجباتهم المهنية بأمانة. أصبحت هذه الواجبات مقننة ومعتادة، وإذا انحرف المهنيون عنها، فإنهم يخونون الثقة التي أبداها الآخرون فيها. هذا ما قصده برادلي عندما حذر من أن أولئك الذين يرغبون في أن يكونوا أفضل من العالم يقفون على عتبة الفجور. الأفعال الأخلاقية غير التقليدية تخون أولئك الذين يعتمدون عليها⁽³⁾.

⁽¹⁾Ibid, P. 594.

⁽²⁾Ibid, P. 594.

⁽³⁾Ibid, P. 595.

لكن الثقة والاعتماد والتوقعات المستقرة لا تستنفد عالم الاهتمامات الادبية. ربما اعتمد دانتون على سانسون لقطع رأس هيبيرتيست، لكن من المؤكد أن مصالح هيبيرتيست تحسب لشيء ما أيضا! تسلط حجة فولر الضوء على علاقات الثقة التي تدعم العمل المهني، لكن الحجة تتجاهل العوامل الخارجية والأضرار وتكاليف الفرص التي يلحقها المحترفون أحيانا بأطراف ثالثة من خلال الولاء لمرضاهم وعملائهم. على الرغم من أن فولر قد يعتقد خلاف ذلك، إلا أن حجج الاعتماد ليست قانوناً طبيعياً خاصاً أعلى من متطلبات الأخلاق العامة. بدلاً من ذلك، فإن حجج الاعتماد ليست أكثر من حجج ضمن الأخلاق المشتركة - وهي ليست الحجج الوحيدة في الأخلاق المشتركة، ولا هي دائما الأكثر أهمية⁽¹⁾.

في النهاية، فإن مشكلة الدور الأخلاقي تمثل تحديا دائما لتماسك الفكر الأخلاقي. إن الصراع بين أخلاقيات الدور والأخلاق المشتركة يمثل صراعا داخل الذات - ربما، بعبارة ميلودرامية، صراعا بين نفسين بداخلنا. أحدهما هو الذات «الاجتماعية» التي أنشأتها الأدوار التي نلعبها وعلاقات الاعتماد التي تحدثها هذه الأدوار. والآخر هو الذات التي نضمهرها جميعا، الذات التي تحرر نفسها وتنأى بنفسها عن الانغماس التام في أي دور. هذا ليس صراعا سيختفي أبدا. الأخلاق المهنية، التي قد تبدو في البداية قضية ثانوية وسطحية في الفكر الأخلاقي ككل، في الواقع تأخذنا إلى عمق الحياة الأخلاقية نفسها⁽²⁾.

⁽¹⁾Ibid, P. 595.

⁽²⁾Ibid, P. 595.